وظيفة ((الساقي)) في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. سماح عبد المنعم السلاوي (*)

يتناول هذا البحث دراسة عن وظيفة الساقي في البلاط المملوكي ودوره في عصر دولة سلاطين المماليك من عام ٦٤٨-٩٣٢هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، حيث تعتبر وظيفة الساقي من أقدن الوظائف الخدمية والأساسية في القصور الملكية وفي المنازل منذ العصور القديمة. كان يقصد بالساقي أنه الشخص الذي يحمل الكأس أو الشخص الذي في عهدته المشروبات ومن هنا ارتبطت تلك الوظيفة بالشرب، كما كان يسمى أحيانا كبير الخدم أو الشرابي أو الساقي، وقد أصبح الساقي في العصر العباسي موظفاً في البلاط العباسي وكذلك في منازل الأمراء والأعيان والنبلاء، ثم انتشرت تلك الوظيفة بصورة أكبر في العصر السلجوقي، واحتل صاحبها مكانة وأهمية وأصبح له دور فعال في البلاط السلجوقي حيث أن تلك الوظيفة وفرت ويسرت لمن يتولاها فرصة للترقي والوصول إلى أعلى المناصب والقيام بأدوار ومهام خطيرة، ومن السقاة الذين ارتفع شأنهم ومكانتهم في العصر السلجوقي، مثل الأمير أنوشتكين الذي كان ساقياً عند الملك ملكشاة السلجوقي وكذلك الأمير قراجا السلجوقي والذي لعب دور هام في الحياة السياسية وسمم إليه الملك سلجق أخو السلطان سنجر (١).

وهكذا استمرت تلك الوظيفة مهمة في البلاط تلك الفترة، واتضح ذلك من خلال كثرة الرنوك (الشارات والعلامات) الخاصة بالساقى على الجدران والأضرحة والأعمال الفنية، ففي خلال القرنين ٦-٨هـ /٨-١٤م وجدت في مصر وسوريا والعراق رسم وأعمال فنية تعرض وتفسر لنا طبيعة تلك الوظيفة، حيث رسم صورة شخص يحمل في يده اليمني كأساً وفي اليد اليسرى رجاجة معبراً عن مهمة الساقي وهي تقديم الشراب، وتغيرت تلك الرسوم فيما بعد في العصر المملوكي وأصبح للساقي رنك مميز خاص به، وقد زاد عدد السقاة في العصر المملوكي، وأصبحت تلك الوظيفة أكثر

* مدرس تاريخ إسلامي.

فاعلية وأكثر تنظيماً ووضعت الدولة لصاحبها مهام واختصاصات وادوار جديدة مما جعل القلقشندى يعتبرها من الوظائف المحدثة على الرغم كونها من الوظائف القديمة (٢).

ترجع أهمية الدراسة إلى عدة اعتبارات هامة منها:

- كثرة اهتمام المؤرخين والباحثين بالنواحي العسكرية والسياسية وسيرة الحكام والأمراء وكذلك الاهتمام بالوظائف العسكرية دون النظر للوظائف الإدارية والخدمية، فلم يهتم إلا القليل منهم بدراسة تلك الوظائف، فنجد – على سبيل المثال – الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد في كتابه ((نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم)) حيث تناول فيه دراسة شاملة لتلك الوظائف المتنوعة، وكذلك الدكتور حين الباشا وكتابه الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، بالإضافة إلى بعض الأبحاث مثل ما كتبه الدكتور أحمد عبد الرازق عن الرنوك في العصر الإسلامي وتناول فيه رنك الساقي، ثم بحث الدكتورة محاسن الوقاد عن أمير مجلس وآخر عن الحجابة في العصر المملوكي، ولذلك رأيت في بحث الساقي استكمالاً لدراسة هذه الوظائف المملوكية.
- أهمية وظيفة الساقي ذاتها حيث كان لها من الخصوصية والمكانة- رغم صغير حجمها – ونظرة الآخرين إليها إلا أن صاحب تلك الوظيفة كان ملازماً للسلطان ولا يفارق مجلسه سواء كان في مجلس الحكم أو مع الأمراء والنبلاء أو في مجلس الشراب واللهو، كما كان يتنقل معه في رحلات الصيد وأسفاره المتنوعة، كما كان عليه الإشراف على مائدة الطعام والشراب للسلطان والأمراء أو في الحفلات المتعددة والتي كانت سمة من سمات العصر المملوكي، ونفهم من هذا أن الساقي كان قريباً من السلطان مما جعله مطلعاً على أمور هامة وخطيرة وعلى معرفة بالأخبار مباشرة ومتابعاً للأحداث بشكل مستمر وواضح، مما كان له الأثر في توجيه السلطان المملوكي والتأثير عليه في إتخاذ بعض القرارات، كما جعل السلطان يسند إليه بعض المهام والمسؤوليات الهامة، ومن هنا تتضح قوة تلك الوظيفة وأهميتها.

وقد واجهت الباحثة في هذه الدراسة عدة صعوبات يمكن توضيحها على النحو التالي:

- تناثر المادة المصدرية للموضوع مما ألزم الباحثة البحث عنها في كتب الحوليات والتراجم والخطط والشواهد الأثرية بالإضافة إلى قلة المراجع المتعلقة بموضوع الدراسة مما جعل الدراسة معتمدة على المصادر الأصلية بصفة أساسية.
- كثرة عدد السقاة في البلاط المملوكي حيث كان يتم تولية عشرة سقاة للسلطان المملوكي وكان يرأسهم ساقي السلطان، كما تعددت أدوارهم وأعمالهم وبعضهم قد تولى وظيفتين معاً في نفس الوقت حيث اتسمت الوظائف في العصر المملوكي بالانسيابية والسهولة عند توليها، كما كان سهلا على الأمير أن يتولى وظيفة ما ويقوم بمهامها ويحمل لقب وظيفة أخرى دون القيام بمهامها، مما جعل البحث يحتوى على شخصيات متعددة.
- كما تطلبت الدراسة أيضاً الإحاطة ببعض الوظائف الأخرى نظراً لارتباطها بوظيفة الساقي وعلاقتها بها وتأثير تلم الوظيفة في التاريخ المملوكي.
- كذلك تطلبت الدراسة الاعتماد على الدراسات الأثرية وذلك للتعرف على رنك الساقي في ذلك العصر وتطوره ومعرفة المنشآت المعمارية والمباني والأعمال الفنية التي حملت اسم الساقي وشارته وكذلك الألقاب التي حصل عليها.

من الساقي؟ وما تعريف ومفهوم وظيفة الساقي ومهامه الأساسية وتطور تلك المهام؟ لقد كان الساقي في البداية مسئولاً عن تقديم الشراب فقط ثم تولى أمر مد السماط (٣) ثم سقى المشروب بعد الانتهاء من الطعام وكأنه كانت مهمته الأساسية هي سقى المشروب ثم استحدث له تلك الأمور تبعاً (٤) وبالتالي أصبح الساقي هو ذلك الشخص المسئول عن تقديم الشراب والطعام وتجهيز الموائد.

وكان هؤلاء السقاة من الخاصكية المقربين من السلطان ويذكر ابن شاهين أن الخاصكية هم الذين يلازمون السلطان في خلوته وفراغه وينالون ما لا يناله أكابر المقدمين ويحضرون في خدمة القصر والإسطبل ويركبون لركوب السلطان ليلاً ونهاراً ولا يتخلفون عن قرب أو بعد ويتميزون عن غيرهم في الخدمة وكان عددهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعين ثم زادوا في أيام الأشراف برسباي نحو ألف خاصكيا، ومنهم من هو

صاحب وظيفة ومنهم من ليس له وظيفة..... من أصحاب الوظائف عشرة سقاة خاص....*(٥).

هناك أدلة كثيرة في المصادر المعاصرة تؤكد على كثرة السقاة في العصر المملوكي وعلى أن معظمهم كان من الأمراء الخاصكية، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس البندق داري (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) وفد عليه ثلاثة آلاف فارس مت التتار: فمنهم من رتبه في الخاصكية وهو الخاصة به، ومنهم من رتبه في السلحدارية، ومنهم من رتبه في الجمدارية، مثل من رتبه في السقاة، منهم من أمره وأضاف إليه من عشرة إلى عشرين فارساً مثل الأمير سيف الدين أيتمش الساقي، والأمير ساطلمش الساقي، والأمير أيدمر الساقي (٦) ومن هؤلاء أيضاً الأميران قطلوبغا الفخرى الساقي الناصري، وطشتمر الساقي وقد اشتراها الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤١م) صغاراً في السن وأحبها كثيرا وبلغا عنده مكانة وجعلهما من السقاة الخاصكية المقربين إليه (٧) وأيضاً الأمير برسباي بن عبد الله المؤيدي الساقي، كان من صغار المماليك المماليك المؤيدية ثم صار خاصكياً وساقيا لفترة طويلة، ثم أنعم عليه السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣) بإمرة عشرة (٨) وكذلك كان الأمير تمرباي بن عبد الله الساقي الناصري من مماليك الناصر فرج بن فرج بن برقوق ثم صار من مماليك الظاهر جقمق والذي كان يعرف بالجمالي الساقي وعين خاصكيا ثم ساقياً للسلطان الظاهر جقمق ثم رقاه لإمرة عشرة وظل ساقياً لعدة سنوات (١١).

ومن هنا يتبين لنا أن الساقي كان من أكثر الأمراء الخاصكية قرباً من السلطان المملوكي وكان لا يفارقه في مجلسه، وكان عدة هؤلاء السقاة حوالي الشريف (١٢)، كما يمدنا القلقشندي بأنه كان يلقب أيضاً رأس نوبة السقاة (١٣) مثل الأمير عبد المؤمن بن عبد الله الساقي وكان يدعي آقوش ولاه الأشراف شعبان رأس نوبة السقاة في عهد المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، واستمر في وظيفته حتى وفاته في عهد الأشراف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) (١٦)، أما الأمير مثقال السودوني الظاهري جقمق الحبشي الطواشي الساقي استمر في وظيفة رأس نوبة السقاة لفترة طويلة منذ عهد السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) إلى عهد الأشرف قايتباي (٨٧٣-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)(١٧).

كانت وظيفة الساقي من الوظائف الموراثية من ناحية الاحتفاظ باللقب حيث كانت تورث أحياناً للابن أو للأخ رغم عدم اشتغاله بالوظيفة كما هو الحال بالنسبة لكل من أحمد الساقي كان من المغول الأويراتية وقد أرسله نائب البيرة للناصر محمد بن قلاوون فعمل ساقيا عند الأمير بكتمر الساقي ثم أنعم عليه الناصر محمد بن قلاوون بعد موت بكتمر بإمرة عشرة ولقبه بأحمد الساقي (١٨)، وكذلك بالنسبة إلى الأمير أينبك الساقي أخو بكتمر الساقي (١٩) ومن السقاة في دولة سلاطين المماليك الذين أطلق عليهم لقب الساقي ووجد ذلك على الآثار والتحف ولهم رنك الكأس هم ألطنبغا المارديني وقوصون الساقي وحسين بن قوصون الساقي ومحمد بن كتبغا وظشتمر وطرجي الناصري وطقزدمر وغيرهم (٢٠).

يرجع كثرة السقاة في البلاط المملوكي إلى تعدد الاحتفالات والمناسبات وتنوعها وإعداد الأسمطة طوال اليوم، حيث كان يعد سماط في بداية النهار لا يأكل منه السلطان ثم يتبعه ثان يسمي الخاص وقد يأكل السلطان أو لا يأكل ثم ثالث ويسمي الطارئ، ومنه يأكل السلطان وفي أخر النهار يمد سماطان آخران وبعد كل تلك الأسمطة كان تقدم المشروبات المتنوعة، وجرت العادة في الليل أن يبيت في المبيت السلطاني بعض من الخاصكية والأمراء وأرباب الوظائف (٢١).

وبالنسبة إلى الاحتفالات فقد كانت عديدة ومستمرة طوال العصر المملوكي ومنها ما كان يقام أيام المواكب السلطانية، والتي كان يمد فيها السماط بكل أنواع الأطعمة والمشروبات وكذلك في احتفال الزواج أو عند مرض السلطان أو في حالة شفائه وكذلك عند ختان أحد أبناء الطبقة الحاكمة وعند وفاة السلطان أو أحد أكابر الأمراء حيث كان يمد سماط العزاء لعدة أيام وبعده يقدم الشراب وهكذا كان لا بد وجود عدد كبير من السقاة لخدمة الحاضرين (٢٢).

ويؤكد المقريزى ذلك عند حديثه عن الأشراف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) عندما أمر بعمل سماط عظيم بعد أن لعب القبق (٢٣) بالميدان الأسود (٢٤) وحضر العديد من الأمراء ودار السقاة على الأمراء بأواني الذهب والفضة والبلور يقدمون لهم السكر العذب، وقد شرب الأجناد من أحواض ملئت بالمشروب السكري ووصل عددها حوالي مائة حوض فشربوا ولهوا واستمروا على ذلك

يومين (٢٥)، وكذلك بعد انتصار السلطان الناصر محمد بن قلاوون على التتار عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م عمل سماط عظيم في القلعة ونصبت عدة أحواض مملوءة بالسكر والليمون وقد أوقف مماليكه ليقدموا الشراب للعسكر (٢٦)، وأيضاً عند قدوم رسل وسفراء الدول الأخرى فقد حضر رسل الملك أبي سعيد وفي صحبتهم خيول وهدايا فأكرمهم السلطان وأعد لهم السماط وبعد الانتهاء دخل السقاة ليقوموا بخدمة الرسل (٢٧) وهكذا كانت الظروف تقتضى وجود عدد كثير من السقاة نظراً للاحتياج إليهم في مناسبات عديدة.

هذا وقد ارتبطت وظيفة الساقي بوظائف أخرى في البلاط المملوكي مثل وظيفة الجاشنكير وهو الشخص الذي يتذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان (٢٨) وبنا أن الساقي كان يقدم الشراب والطعام للسلطان فيمكن القول بأنه كان تابعا للجاشنكير، وكذلك وظيفة شاد الشرابخانة وهو الشخص المتحدث على ما يرد أو يخرج من خزانة الشراب (الشرابخانة) من الشراب والحلوى والفواكه ويشترط أن يكون من خواص السلطان المقربين إليه (٢٩) وبالتالي كانت مسؤوليته خطيرة وهامة للغاية لأنه يجب عليه التأكد من صحة وسلامة المشروبات المقدمة للسلطان، وأحيانا كان يتم ترقية الأمير الساقي من وظيفة الساقي إلى شاد الشرابخانة أو العكس كما حدث مع الأمير أحمد بن بدليك الساقي شاد الشرابخانة الذي كان ساقياً عند الأمير بكتمر الساقي ثم أخذه الناصر محمد بن قلاوون ورقاه إلى شاد شرابخانة (٣٠)، بالإضافة إلى وظيفة أخرى هي وظيفة الشرابدار وهو الشخص الذي يقوم بالخدمة في الشرابخانة وكانت تعد تلك الوظيفة من الوظائف أو الحرف الصناعية في العصر المملوكي (٣١).

نظراً إلى أن الساقي كان قريباً من السلطان أو الأمير يشكل مستمر ومتواجد معه في أوقات مختلفة ومن ثم كان يمكن أن يدبر عن طريقه وسيله للتخلص من ذلك السلطان أو ذلك الأمير بوضع السم له في الشراب أو الطعام، ومن هنا تكمن خطورة عمله وأهميته في نفس الوقت وهذا ما جعل القاضي السبكي ينظر لتلم الوظيفة على أنها أقبح البدع كما ألزم الساقي بأمرين أولهما: ألا بقدم للسلطان أ، الأمير منكراً يشر به، وثانيهما: أن يحمي مخذومه من غدر الحاضرين وألا يخون سيده (٣٢)، وليس أدل على ذلك مما حدث الأميرة فيروز الرومي الساقي الجاركسى والذي كان ساقياً لدى السلطان

الناصر فرج (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م)، ثم لدي السلطان المؤيد شيخ المؤيد شيخ واستمر حتى عهد السلطان الأشراف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) فحظي عنده وقربه إليه وازداد وضعه ومكانته حتى دب خلاف بينه السلطان الأشراف برسباي فطلبه لتناول الشراب معه فامتنع فيروز الساقي متعللا بأنه صائم وكان ذلك في أثناء فترة مرض السلطان الأشراف برسباي فاعتقد السلطان أن الشراب به سم وما أنقذه من بطش السلطان برسباي إلا بصعوبة أما رفيقة ابن العفيف فقد أمر بقتله (٣٣) ولا عجب في ذلك في عصر أتصف بكثرة المؤامرات والخيانة والغدر وانتشار الفتن والدسائس للوصول للحكم ودائما ما كان يحدث ذلك بالقوة والعنف وسفك الدماء، فكان من الطبيعي أن بشك السلطان المملوكي فيمن حوله ومن الطبيعي أيضاً أن يستغل الأمراء الساقي للتخلص من السلطان والقضاء عليه.

جرت العادة أن يكون متولي وظيفة الساقي من أمراء العشروات و الذين كان عددهم حوالي خمسين أميراً في الخدمة وتحت إمرة كل منهم عشرة فرسان أحياناً أكثر (٣٤)، ولكن تشير المصادر التاريخية المعاصرة إلى أنه كان من الممكن أن يتولى تلك الوظيفة أمير طبلخانة (٣٥) أو أمير أعلى رتبة من ذلك كأمير ألف وفي أحيان أخري كان الساقي بدون إمرة في البداية ثم ينعم عليه السلطان بإمرة، ففي عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م توجه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الحجاز ومعه من الأمراء بكتمر الساقي وقوصون وطيدمز الساقي وطوغان الساقي وأيتمش الساقي وإباز الساقي وكل هؤلاء مقدمون وطبلخانة ومن أمراء العشروات إياجي الساقي (٣٦)، كما أنعم السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م) على بعض الأمراء بالمنصب وأمرهم إمرة عشرة وكان منهم تمر الساقي وجركس الساقي (٣٧)، كذلك كان الأمير دولات باي ألمؤيدي الساقي أحد أمراء الطبلخانة (٣٨)، وفي عام ٨٤٢هـ/١٤٣٩م انعم السلطان الظاهر جقمق على سبعة من الأمراء بإمرة عشرة منهم الأمير قانبك السياقي وجانبك الساقي وغيرهم (٣٩) وفي أحيان أخرى كان يتولي تلك الوظيفة أمير أعلى رتبة مثلما حدث مع الأمير يشبك الساقي الأعرج عندما عينه السلطان الظاهر ططر (٨٢٤هـ/١٤٢١م) ساقياً خاصاً وجعله أحد أمراء الألوف وانعم عليه بإقطاع الأمير قرقمش وإمرته (٤٠).

مرتب الساقي وإنعاماته:

أوضحنا من قبل أن الساقي غالباً ما يكون أمير عشرة وهي إمرة دون الطبلخانة في مدرج الرتب العسكرية الإقطاعية في الجيش المملوكي وتقضي تلك الإمرة أن يكون صاحبها تحت يده عشرة مماليك وأحياناً تزيد إلى العشرين ويقال في ذلك أنه أمير عشرين رغم أنه يعد من العشروات من حيث الرتبة (٤١)، وقد بلغ عدد أمراء العشروات في عهد الناصر محمد بن قلاوون بعد عمل الروك (٤٢) الناصري ما بين عامي ٧١٢هـ/١٣١٣م ،٧١٥هـ/١٣١٥م حوالي ٢٠٠ أمير مقسمين إلي ثلاثين أميراً خاصكياً و١٧٠ أمير خرجياً، يضاف إلى ذلك ٢٠٠٠ مملوك تحت إمرتهم (٤٣) ولكن على أية حال لم يزيد أمراء العشروات عن ١٨٥ أميراً في زمن السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) (٤٤).

أما بالنسبة للمرتبات والإقطاعيات فمن الجدير بالذكر أن نوضح أن النظام الإقطاعي قد اكتملت هيئته في العصر المملوكي بعد انتقاله من الدولة الأتابكية السلجوقية فالدولة الأيوبية حيث كان السلطان يوزع الإقطاعات الزراعية على الجند والقادة، وأحيانا حين يتولى سلطان جديد يقوم بتغيير عملية التوزيع لمراعاة الظروف السياسية الداخلية وهنا يقوم السلطان بعملية مسح جديدة للأراضي الزراعية بشكل شامل لحصرها وتقدير درجة خصوبتها وتلك العملية كانت تسني ((الروك)) وقد حدث ذلك مرتين في العصر المملوكي، المرة الأولى كانت في عهد السلطان المنصور لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٧-١٢٩٩م) في عام ٦٩٧هـ/١٢٩٦م، والمرة الثانية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧١٥هـ/١٣١٥م وفيها تقرر تقسيم أراضي مصر إلى ٢٤ قيراط اختص السلطان منها ٤ قراريط لخاصته ولما يطلقه من الإنعامات وللكلف والرواتب ومنها ١٠ قراريط للأمراء والإطلاقات والزيادات، واختص ١٠ قراريط أخرى لأجناد الحلقة (٤٥).

ووفقاً للروك الناصري فقد جري تقدير مقدار الإقطاعات بالدينار الجيشي وهو ما كان يساوي عشرة دراهم، فإذا كان الساقي أميراً خاصكيا من العشروات إقطاعه يصل إلى ١٠٠٠٠ دينار جيشي أي ما يساوي ١٠٠٠٠٠ درهم، وإذا كان أمير عشرة فقط كان إقطاعه حوالي ٧٠٠٠ درهم أي ما يساوي ٧٠٠٠٠ درهم، وإذا كان من

أمراء الطبلخانة كان إقطاعه يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ألف دينار جيشي (٤٦)، وهكذا يمكن القول أن الراتب الأساسي للساقي كان يتراوح ما بين ٧٠٠٠ دينار إلى ١٠٠٠٠ دينار جيشي.

ليس الإقطاع هو كل ما كان يحصل عليه الأمير الساقي بل كان يتقاضي أنواعاً أخرى من النفقات والرواتب في أوقات معينة حيث كان يحصل على رواتب جارية في كل يوم من اللحوم والتوابل والخبز والعليق والزيت والسكوة ولكن لكل منهم على قدر منزلته (٤٧)، كما كان يحصل على نفقات عند خروجه في تجريده عسكرية وكانت تسمي في تلك الحالة نفقة التجريدة ينفقها السلطان المملوكي على المجردين في المهمات الحربية زيادة عما بأيدي الأمير من الإقطاعات وتمنح مقدماً للأمير، ففي عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون عسكراً لنجد ملك اليمن وكان صحبة العسكر الأمير بيبرس الحاجب ومعه خمسة من أمراء الطبلخانة منهم الأمير ألجاي الساقي وأنفقي لكل أمير طبلخانة ١٠٠٠٠ درهماً، (٤٨)، بالإضافة إلى ما كان يأخذه الساقي أثناء البيعة للسلطان ففي عام ٨٦٥هـ/١٤٦١م تسلطن السلطان أحمد بن أينال نادي في الحوش السلطاني بالقلعة أن لكل مملوك ٢٠ ديناراً والأمراء العشروات ٢٠ ديناراً (٤٩).

كما حصل الساقي على إنعامات أخرى وترقيات متنوعة وكان ذلك يحدث ليس عن كفاءة وقدرة الأمير فحسب بل وفقاً لما يراه السلطان أيضاً، فقد كان نظام الترقية في العصر المملوكي ينقسم إلى طريقتين: الأولى وهي الطريقة العادية حيث التدرج الطبيعي من رتبة إلى أخري فيبدأ المملوك صغيراً بالتربية والتدريب العسكري وأخذ الكسوة والجامكية (٥٠)، ثم يعتقه السلطان ويوليه وظيفة جمداراً (٥١)، ثم خاصكياً ثم ساقيا ثم أمير عشرة وأمير أربعين وهكذا، أما الطريقة الثانية فهي طريقة الطفرة أو القفز حيث يقفز المملوك من الجندية إلى إمرة عشرة أو مائة أحياناً وأحيان أخرى أمير مائة ومقدم، كما سمح له بزيادة الإقطاع (٥٢).

يبدو أن وظيفة الساقي كانت من الوظائف التي مهدت لصاحبها فرص الترقي للمناصب الرفيعة وربما يعود ذلك إلى قرب الساقي من السلطان بشكل دائم وقدرته على القيام بمهام عديدة لخدمات السلطان كما هو الحال مع الأمير سيف الدين كوندك الساقي

في عهد السلطان الظاهر بيبرس والذي تربي مع ولده الملك السعيد وبعد وفاة السلطان بيبرس أصبح كوندك مقرباً من الملك السعيد لدرجة أنه كان على علم بما يفعله وسمح له بالتدخل في أمور عديدة وصار في يده الحل والعقد وأصبح نائباً للملك السعيد وسيطر عليه وتحكم في مجريات الأحداث (٥٣)، كما اعتمد السلطان المملوكي الملك السعيد بن الظاهر بيبرس على الأمير عز الدين أيبك الأقرم الكبير ألصالحي الذي كان ساقياً للملك الصالح ثم أصبح من كبار الأمراء في الدولة فأصبح أمير جندار ثم عمل في نيابة مصر عدة مرات (٥٤)، أما الأمير قراسنقر الجوكندار (٥٥) الجركسي المنصوري فقد اشتراه الملك المنصور قلاوون (٦٧٨- ١٢٧٩-١٢٩٠م) وجعله ساقياً ثم رقاه وتولى نيابة حلب واستمر فيها إلى عهد الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)، ثم عاد إلى مصر أمير جندار وتولى نيابة السلطنة بمصر في عهد كتبغا حتى أصبح مدبر المملكة في الشام واستقر نائباً فيها (٥٦).

كذلك الأمير سيف الدين طقزدمر بن عبد الله الحموي الساقي الناصري كان من مماليك المؤيد صاحب حماة ثم قدمه للناصر محمد بن قلاوون فأعطاه إمرة عشرة وجعله ساقياً وزوج ابنتيه لولديه المنصور، والمصالح إسماعيل ثم رقاه الناصر إلى أمير مجلس وبعد وفاة الناصر تولى نيابة السلطنة بمصر ثم تولي نيابة حماة ثم دمشق (٥٧)، كما تري المصادر التاريخية أنه في عام ٧١٧هـ/١٣١٧م تولي الأمير عز الدين طقطاي الساقي احد أمراء دمشق نيابة السلطنة بالكرك (٥٨)، أما بالنسبة إلى الأمير قوصون الساقي الناصر فقد تولى نيابة السلطنة بمصر في عهد المنصور أبى بكر بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١-٧٤٢هـ/١٣٤١م) وذلك لأنه كان مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون ومنافساً قوياً للأمير سيف الدين بكتمر الساقي حتى عظمت مكانته عند السلطان وزوجه أبنته، وعندما توفي الناصر محمد وقف بجانب ابنه المنصور أبى بكر ضد أخيه الأمير أحمد الذي كان يسانده الأمير بشتاك ثم استطاع قوصون أن يجلس المنصور على العرش ثم خلعه بعد معرفته أنه يريد الإمساك به وجعل أخيه الأشراف كجك يتولي السلطة وصار نائباً للسلطان (٥٩)، وقد استطاع الأمير سيف الدين قوصون منذ أن دخل في خدمة الناصر محمد أن يحظي باهتمامه ورعايته وجعله من جملة السقاة حتى شغف به كثيراً فأسلمه

للأمير بكتمر الساقي وجعله أمير عشرة ثم أمير طبلخانة ثم أمير مقدم ألف وترقي بسرعة حتى وصل إلى منصب نائب السلطنة كما أوضحنا (٦٠).

هناك بعض من الأمراء السقاة الذين استطاعوا من خلال منصبهم واقترابهم من مجريات الأمور أن يصلوا إلى مناصب أعلى من ذلك ويتولوا السلطة في مصر والشام وأصبحوا سلاطين على البلاد فمن هؤلاء الأمير الشيخ المحمودي الساقي الظاهري الذي ظل يترقي من أمير عشرة إلى أمير طبلخانة ثم نائب طرابلس ثم الشام حتى وصل للسلطة في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م (٦١)، وقد كان المؤيد شيخ جركسي الأصل اشتره الظاهر برقوق وجعله من مماليكه وأصبح من جملة الجمدارية ثم خاصكياً ثم بعد مدة قصيرة أصبح ساقياً خاصاً للظاهر برقوق وأنعم عليه وصارت له مكانة وأعطي إمرة عشرة ثم عشرين ثم أربعين ثم أمير الحاج ثم مقدم ألف وهكذا حتى تولي السلطنة (٦٢).

بالإضافة إلى ذلك توضح المصادر المعاصرة أن هناك أمراء آخرين قد منحهم السلطان إمرة أكبر مما هم عليه على غير العادة، ففي عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م أنعم السلطان المنصور قلاوون على جماعة من خشداشيته بتقدمة ألف ومنهم الأمير طرنطاي الساقي وكتبغا ولاجين وغيرهم (٦٣)، وفي عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م عندما هرب الأمير ألبكي الساقي من السلطان المنصور قلاوون ثم توسط بينهم بعض الأمراء فسمح له بالعودة وانعم عليه بإمرة مائة وأن يقيم في دمشق (٦٤)، وفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م توفي الأمير سيف الدين طيدمر الساقي وكان في ذلك الوقت مقدم ألف (٦٥)، وكذلك كان الأمير طنبغا الساقي الذي كان من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وترقي إلى إمرة مائة في عهد الناصر حسن الأولي (٧٤٨-٧٥٢هـ/١٣٥١-١٣٤٧م) (٦٦)، وفي يوم الأحد الموافق ٢٨ من ذي الحجة عام ٧٤١هـ/١٣٤١م توفي الأمير سيف الدين تمر الساقي احد أمراء الألوف وكان من أكابر الأمراء ومن أعيان الخاصكية لدي الناصر محمد بن قلاوون (٦٧)، وفي عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م توفي الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد الله المارداني الساقي وكان من المماليك المقربين للناصر محمد بن قلاوون ومن خاصكيته أيضاً وشغف بمحبته كثيرا وزوجه بابنته ورقاه في مدة يسيرة حتى جعله أمير مائة ومقدم ألف ثم نائب حماه وحلب (٦٨).

أما الأمير سيف الدين طقزدمر بن عبد الله الحموي الساقي الناصر فقد كان ساقياً مقرباً للسلطان المملوكي فأنعم عليه بإمرة مائة ثم مقدم ألف ثم جعله أمير مجلس وزوجه بإحدى بناته حتى صار من عظماء أمرائه (٦٩)، كما انعم السلطان الناصر فرج بن برقوق عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م على بعض الأمراء بإمرة عشرة ومنهم الأمير تمر الساقي الخاص والأمير جركس الساقي، وفي السنة التالية أنعم على الأمير تمر الساقي مرة أخرى بإمرة طبلخانة بعد انتصاره على الأمير أيتمش والأمراء بسبب خلافات بين الخاصكية والأمير أيتمش فقبض الناصر فرج عليهم جميعا وحبسهم (٧٠)، وفي عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م انعم السلطان على الأمير يشبك الساقي الأعرج بإمرة ألف (٧١)، ومن هنا يتبين لنا أن الساقي كانت لديه فرص عديدة للحصول على إنعامات وترقيات لمناصب أعلى وأتاحت له تلك الوظيفة الفرصة للوصول إلى منصب نائب السلطنة أو حاز على وأتاحت له تلك الوظيفة الفرصة للوصول إلى منصب نائب السلطنة أو حاز على اهتمام ورعاية السلطان المملوكي وحظي عند لدرجة أنه كان يتولى وظيفة أخرى بجانب وظيفة الساقي أو كان يحصل على اللقب ولكنه يقوم بمهم أخرى وفي نفس الوقت بمنحه السلطان إمرة أعلى من رتبة عسكرية أكبر مما هو عليه وهذا يعني أن وظيفة كانت وسيلة للصعود والترقي.

ولكن ذلك لم ينطبق على كل الأمراء السقاة فهناك أمراء ظلوا في وظيفتهم لسنوات عديدة دون ترقية وقاموا بدور هام من خلال تلك الوظيفة مما جعل السلطان لا يستغني عنه ساقياً خاصاً له. كما هو الحال مع الأمير تنبك بن عبد الله الساقي الناصري أحد أمراء العشروات ورأس نوبة السقاة، فقد كان ساقياً في عهد السلطان المؤيد شيخ وبقى على ذلك دهراً حتى عهد الأشراف برسباي (٨٢٥- ٨٤٢هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) وتوفي عام ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م (٧٢)، وهذا يعني أنه استمر في منصب رأس نوبة السقاة لأكثر من عشر سنولت تقريباً. أما الأمير أسنياي الساقي احد خواص الملك الظاهر جقمق فقد جعله خاصكياً ثم سلحداراً ثم ساقياً واستمر على لك سنين حتى أنعم عليه بإمرة عشرة عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م (٧٣)، وكذلك الأمير مثقال بن عبد الله الجمالي الطواشي الساقي وكان يلقب سابق الدين الزمام دار فقد كان ساقياً خاصاً لوالدة الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) حتى توفيت فأخذه السلطان لنفسه وجعله ساقياً

خاصاً له (٧٤)، كما هو الحال أيضاً مع الأمير فيزوز الساقي الجركسي الذي شهد عهد عدد من سلاطين المماليك ومنح لقب الساقي في نهاية عصر الناصر فرج بن برقوق واحتفظ باللقب والوظيفة حتى عهد الأشراف برسباي ثم استمر ساقيا في عهد السلطان الظاهر جقمق إلى أن توفى عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م (٧٥).

أدوار الساقي ومهامه واختصاصات:

قام الساقي بمهام وأعمال أخري علاوة على مهامه الأساسية وذلك بناء على أوامر من السلطان المملوكي أو وفقاً لمكانته وقوة شخصيته ومدى قربه من السلطان المملوكي يكلفه ببعض المهام والأعمال ومنها على سبيل المثال:

- قيامه بمهمة استقبال أمراء العربان القادمين لمقابلة السلطان فكان يقف عند باب السر بالقلعة ثم يأخذهم إلى السلطان كما حدث مع الأمير عيسى بن منها (٧٦)، أو يستقبل أكابر الأمراء القادمين من الشام عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م قدم الأمير تنكز نائب الشام إلى القاهرة باستدعاء من السلطان، معه بعض مماليكه فخرج الأمير بكتمر الساقي لمقابلته عند سريا قوس فجاء به إلى السلطان الذي أكرمه وأنزله في دار بكتمر الساقي (٧٧)، وفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م قدم نائب الشام وأولاده إلى القاهرة لحضور حفل زواج الأمير أبو بكر بن السلطان الناصر محمد على بنت الأمير طقزدمر وشرع السلطان في الاحتفال بالزواج ولما قرب حضور النائب ركب السلطان إلى سريا قوس وأقام بها في حين وصول النائب إلى الصالحية وأمر السلطان الأمير سيف الدين قوصون الساقي ن يركب ويلتقي بالنائب ويأخذ في صحبته ما يتاح له من طعام وشراب ويعمل به سماطاً عظيماً (٧٨)، وتخبرنا المصادر مرة أخرى في عام ٧٣٩هـ/١٣٣٩م بأن السلطان طلب من الأمير قوصون الساقي مرة أخرى أخري الخروج لمقابلة الأمير تنكز نائب الشام الذي جاء إلى القاهرة لأن ابنته زرجة السلطان قد قرب وضع حملها فلما قد البريد بخبر اقترابه من غزة خرج الأمير قوصون لاستقباله معه المطبخ وركب السلطان إلى قصره في سريا قوس ومعه أولاده ونزل قوصون في السعيدية وهيأ الأسمطة الجليلة وأخذ الأمير تنكز وقدم به إلى الخيمة التي أقامها له خصيصاً (٧٩).

- كما تطالعنا الكتابات المملوكية بأن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون عندما أراد الزواج من حفيدة جنكيز خان المغولي وذلك عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م واتفق على ذلك بالفعل، قدمت زوجة السلطان إلى ميناء الإسكندرية وخرج الأمراء إلى لقائها وركبت المراكب إلى ساحل مصر ثم العربة إلى الميدان وأقامت في الخيمة لمدة ثلاثة أيام وكان يقوم بهدمتها طول الوقت الأمير بكتمر الساقي والقاضي كريم الدين والأمير أرغون النائب (٨٠).
- وفي أحيان أخرى كان الساقي يقوم باستقبال العسكر القادمين من غزوة أو معركة حربية إلى الديار المصرية بعد الانتصار مثلما كان في عام ٧١٩هـ/١٣١٩م عندما جهز الأمير أيتمش المحمدي عسكراً إلى برقة لجباية زكاة الأغنام ثم سار أيتمش يريد الاستيلاء على بلاد جعفر بن عمر في برقة ولكن جعفر رفض الاستسلام فحدثت معركة بين الطرفين وحقق فيها أيتمش النصر على جعفر وبعث إلى السلطان بالبشارة فأرسل الناصر محمد الأمير سيف الدين ألجاى الساقي إلى الإسكندرية ليقابل العسكر ويخرج الخميس من الغنائم للسلطان ويفرق الباقي على الجند (٨١).
- وتشير بعض المصادر التاريخية إلى قيام الأمير الساقي بالخروج وراء محمل الحج أو السفر معه في رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة في مكة المكرمة، ففي عام ٧١٧هـ/١٣١٧م حج بالركب الأمير سيف الدين فجلس ومعه عدد من الأمراء مثل الأمير حسين بن حيدر والأمير غرلوا الجوكندار والأمير سيف الدين الجاي الساقي (٨٢)، وعندما توجه السلطان الناصر محمد إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م مع الملك الأفضل صاحب حماة كان عدد من الأمراء منهم الأمير بكتمر الساقي وقوصون وطيدمر الساقي وأيتمش الساقي وإباز الساقي وكان هؤلاء كانوا أمراء طبلخانة وأما أمراء العشر وات فكان منهم الأمير أياجي الساقي وقولغ الساقي (٨٣). وأحياناً أخري يعين السلطان المملوكي احد الأمراء الساقي للإشراف على رحلة الحج كما حدث عام ٨٥٧هـ/١٤٧٠م حينما عين السلطان أربعة من الأمراء العشر وات في محمل الحج منهم اثنان من الأمراء السقاة وهو: قانصوة المحمدي الساقي والأمير جانم

الساقي (٨٤)، ما قام الساقي بحمل باب الكعبة بناء على أوامر السلطان ففي عام ٧٣٣هـ/١٣٣٧م عمل السلطان باباً من خشب السنط الأحمر وكساه بافضة وطلب من الأمير سيف الدين برسبغا الساقي أن يمضي به إلى مكة ويركب الباب الجديد بدلاً من الباب القديم العتيق. (٨٥).

- كذلك كان السلطان يكلفه بالقبض على بعض الأمراء المتمردين مثلما كان في عام ٧١٠هـ/١٣١٠م قام عدد من الأمراء من أمراء الطبلخانة والعشر وات بالقبض على الأمير بيبرس الدودار وكان معهم الأمير أيدمر الساقي والأمير تنكز الحسامي فقبضوا عليه وأحضروا أمواله وركبوا جميعاً وشقوا شوارع القاهرة وأوقدت الحوانيت كلها من الرميلة إلى سوق الخيل وحضرت المغاني وأرباب الملاهي (٨٦)، وفي عام ٧٤٧هـ١٣٤٦م أراد السلطان الكامل شعبان (٧٤٦-٧٤٧هـ/١٣٤٥-١٣٤٦م) أن يقبض على أخويه الأميران حاجي وحسين فأرسل إليها الأمير الزيني سرور الساقي فقال لهما: "إن السلطان يطلبكما لتحضرا في الدهيشة فرفضا الذهاب معه فقبض عليهما"(٨٧)، وكذلك ما حدث عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م قام الأمير جانم الساقي الظاهري بالقبض على إبراهيم بن بيغوت المؤيدي الأعرج نائب حماة وابن العجيل شيخ المعرة ووصل بهما إلى القاهرة مكبلان بالحديد ووضعهما بين يد السلطان وحضرت الشكاة عليهما وقرأ الأمير جانم الساقي الشكوى ضدهما ثم أمر السلطان بحبسهما في برج القلعة وطيب خاطر الشكاة (٨٨)، وفي عام ٨٦٥هـ/١٤٦١م خلع السلطان على الأمير ألسيفي شاهين الساقي الطواشي الرومي بالتوجه إلى دمشق لإحضار تركة زوجة الأمير قانباي الحمزاوي نائب الشام لأنها كانت متهمة بمال كثير (٨٩).

الدور السياسي والعسكري للساقي:

لعب الأمراء السقاة إبان العصر المملوكي دوراً مهماً في الحياة السياسية والعسكرية وسوف نستعرض بعض الأحداث الهامة في ذلك العصر لنوضح مدي أهمية ذلك الدور وكيف كانت مشاركة الساقي في فعاليات الأحداث سواء كانت مشاركة إيجابية أو سلبية.

- أشارت الكتابات التاريخية إلى دور الساقي في حماية السلطان وحماية العرش ففي عهد الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس قام بالقبض على أكابر الأمراء وخاصكية والده المتوفى فثار لذلك المماليك فاضطر إلى الإفراج عنهم ثم اجتمع الأمراء واستعانوا بالأمير سيف الدين كوندك الساقي للقبض على النائب شمس الدين آقسنقر الفارقاني وبالفعل قبضوا عليه وحبسوه، ثم قبض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ثم أفرج عنه ومن هنا امتلأت قلوب الأمراء غضبا وحذروا السلطان من عاقبة ما يفعل، وتوالت الأحداث ووقع خلاف بين الأمير سيف الدين كونك الساقي والأمراء الخاصكية، وثارت فتنة بسبب أن الملك السعيد أنعم على الأمراء الخاصكية بألف دينار ولكن الأمير كوندك رفض الإمضاء على المرسوم فطلبوا من السلطان عزل كوندك وخرجوا ليقبضوا عليه ويقتلوه وهنا استغل كوندك الفرصة حينما عاد الأمراء من غزوة سيس وأخبرهم أن السلطان يرغب في التخلص منهم فاجتمعوا معاً وعند وصولهم القاهرة أغلق الأمير علاء الدين أقطوان الساقي والأمير عز الدين الأفرم أبواب القاهرة ثم عادوا لفتحها ليدخل العسكر بيوتهم ونزل اقطوان والأفران ليجتمعا بالأمراء الثانرين فقام كوندك الساقي بالقبض عليهما وأعلق بلبان الزريقي أبواب القاهرة مرة أخرى واستعدوا لحصار السلطان في القلعة ولكن العسكر فارقوا الملك السعيد وأرغمه الأمراء على خلع نفسه وبقي معه الأمير لاجين ومغلطاي وألبكى الساقي ثم أخرج إلى الكرك وتولى بعده أخوه (٩٠).
- بالإضافة إلى ذلك كان الساقي له دور في الاتفاق على المؤامرات وإثارة الفتن ضد السلطان، ففي عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م بلغ السلطان المنصور قلاوون أن الأمير سيف الدين موندك الساقي ومعه جماعة من الأمراء الظاهرية اتفقوا مع الفرنج على الغدر بالسلطان وأن يقوم الأمير كوندك بالهجوم على المنصور في الليل بالدهليز فاحترس المنصور قلاوون منهم وطلب كوندك ووبخه فاعترف بالمؤامرة ولكن الأمراء طلبوا العفو فعفي عنهم وأمر السلطان بالقبض على كوندك الساقي وساطلمش السلحدار وإعدامهما (٩١)، وفي عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م اشترك بعض الأمراء السقاة في قتل الأشراف خليل بن

قلاوون وتم القبض على كل من طرنطاي الساقي وعلاء الدين ألطنبغا الساقي وقرا سنقر وآقسنقر ألحسامي ومصادرة أموالهم ثم قبض على سيف الدين الناق الساقي وسجنوا جميعاً في خزانة البنود وتولى بيبرس الجاشنكير هقوبتهم حتى اعترفوا على بقية الأمراء ثم صدر الأمر بقطع أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة وسمروا على الجمال وأيديهم علقة في أعناقهم وشقوا بهم القاهرة ومصر ثم قبض على الأمير سيف الدين قجار الساقي وشنق بسوق الخيل (٩٢).

واستمرت الفتن والمؤامرات ففي عام ٧١١هـ/١٣١١م تم القبض على الأمير بكتمر الجوندار نائب السلطنة وبعض الأمراء الآخرين منهم الأمير سيف الدين منكوتمر الطباخى وبدر الدين بكمش الساقي وغيرهم وكان سبب ذلك أنهم قد اتفقوا جميعاً من الباطن ودبروا مؤامرة للتخلص من السلطان الناصر محمد وسجنوا جميعا إلا الطباخي فقد قتل في الحال لأنه تقوه بكلام ضد السلطان، وفي نفس العام قبض أيضاً على الأمير سيف الدين جنغار الساقي وبكتوب الشجاعي وحملا إلى الكرك (٩٣)، وهكذا كانت ترد إلى السلطان أخبار المؤامرات والفتن قبل وقوعها، كما حدث عام ٧٣٣م/١٣٣٣م أن وصل إلى مسامع السلطان عندما وصل إلى إيلة أثناء رحلة الحج، أن الأمير سيف الدين بكتمر الساقي أعظم مماليكه قرباً إليه بفكر في تدبير مؤامرة لقتله مع عدد من الأمراء فتمارض السلطان وعزم على العودة إلى القاهرة، فوافقه الأمراء إلا الأمير بكتمر الساقي، ثم عاد وأكمل سفره وهو حذر منه حتى دخل مكة وقضى المناسك، وعند العودة دبر الناصر محمد مؤامرة للتخلص من بكتمر الساقي وولد أحمد، وذلك بوضع السهم لهما في الشراب وقد توفي الاثنان قبل وصولهما إلى القاهرة (٩٤).

وتتوالى الأحداث ويتم الاتفاق بين الأميرين قردم الخازندار وإينال المحمدي الساقي عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م على إثارة الفتنة ما ذكرت المصادر المعاصرة أنهما كان يكاتبان الأمير شيخ المحمودي للتآمر ضد السلطان الناصر فرج بن برقوق الذي قام بالقبض على الأمير قردم في الطريق من قناطر السباع إلى القلعة أما إينال المحمدي الساقي فقد هرب ولحق بالأمير قجمق فضربه ضرباً مبرحاً على يده فأحدث له جرحاً بالغاً ولكنه استطاع الهرب مرة أخرى واستمر

البحث عنه لمدة شهر تقريباً حتى قبض عليه في حارات القاهرة وسجن بالإسكندرية (٩٥)، و لم تهدأ الفتن في عصر سلاطين المماليك الجراكسة ففي عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م تم القبض على عدد من الأمراء المماليك ومنهم بيبرس الساقي وتنم الساقي وأرغون شاة الساقي والأمير جكم الخازندار خال والسلطان المملوكي جقمق وعلى جرباش وتاني بك الجقمقي نائب القلعة وغيرهم وقيدوهم في الحديد وتم سجنهم في حلب وكان سبب ذلك أن هؤلاء الأمراء كانوا من المماليك الأشرفية مثيري الشغب مع الأمير نظام المالك الكبير والأمير جقمق الذي أنزلهم من الطباق فيما بعد ومنعهم من الخدمة السلطانية فثار غضبهم وأكثروا في الكلام ضد جقمق وظل ينتظر الفرصة حتى تولي الحكم وانتقم منهم(٩٦).

- وهناك حالات أخرى يقوم فيها الساقي بالسرقة أو الاحتيال والنصب فيتعرض للعقاب، مثلما كان في عام ٧٧٠هـ/١٣٧٠م، فقد قبض على الأمير أرغون العجمي الساقي وهو من المماليك السلطانية ونفي إلى الشام لأنه قد فقد للسلطان جواهر نفيسة و لم يتم العثور عليهما، ثم أحضر بعض الفرنج منها حجراً يعرف يوجه الفرس إلى الأمير منجك نائب الشام فعرف أنه من مسروقات السلطان فسأل الفرنجي كيف عليه، فذكر له أنه قد اشتراه من الأمير أرغون العجمي الساقي، فبعث للسلطان يخبره بما حدث وقبض على أرغون ولكنه لم يعترف بشيء و لم يجدوا في منزله ثمن الحجر فأمر السلطان بنفيه إلى الشام (٩٧)، وأحياناً كان الساقي يتهم بالعمل في الكيمياء فيتم القبض عليه كما حدث مع الأمير مثقال السودوني الساقي الظاهري الحبشي الطواشي رأس نوبة السقاة وتم التأكد من صحة تلك التهمة بالأدلة فأمر السلطان الأشراف قايتباي (٨٧٣-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) بأن يكون بطالاً في مكة ثم انتقل إلى بيت المقدس وعثر مرة أخرى على دليل آخر يؤكد عملية بالكيمياء فأمر السلطان هذه المرة بنفيه إلى الكرك وظل بها حتى وفاته (٩٨)، كما تعرض الأمير فيروز الساقي الخاص للضرب المبرح في الحوش السلطاني وسبب ذلك أنه تكلم في حق رجل من أقارب السلطان وفي حق قاضي من قضاة الشرع بكلام قبيح لا يليق بأن

يذكره فأمر السلطان الأشراف برسباي (٨٢٥-٨٤٧هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) بضربه ونفيه إلى المدينة المنورة (٩٩)، وعندما عاد مرة أخري في عهد السلطان الظاهر جقمق اتهمه بتهريب العزيز بن الأشراف برسباي من قاعة البربرية وأنه كان مقصراً في حراسته حتى هرب ورغم براءته إلا أن السلطان أراد نفيه فشفع فيه ولزم بيته حتى توفي هام ٨٤٨هـ/١٤٤٥م (١٠٠).

- كما كان للساقي مهما أخرى عسكرية حيث امتدت أعماله واختصاصاته ألي الخروج في تجريدات عسكرية حيث تشير المصادر التاريخية المملوكية عن خروج تجريدة عسكرية عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م للإغارة على جبيل ومحاصرة الفرنج بها وكذلك الإغارة على أقصاب عكا رداً على إغارة الفرنج على صفد (١٠١)، واشترك في تلك التجريدة بناءً على أوامر السلطان عدد من الأمراء منهم الأمير بكتمر الساقي والأمير سنقر الأشقر الهارب ليساند السلطان في حربه ضد التتار واتفق معه على أن يسعي له عند السلطان للحصول على العفو ويعيده إلى منصبه ومكانته بعد الأنتهاء من حرب التتار (١٠٣)، ثم أرسل تجريدة أخرى إلى اليمن عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م بماء على طلب الملك المجاهد صاحب اليمن لنجدته ومساعدته وكان في تلك الحملة العسكرية الأمير ألجاي الساقي الناصر وأمراء عشروات وطبلخانة وغيرهم وأنفق السلطان لكل أمير طبلخانة عشرة آلاف درهم (١٠٤)، وما لبث أن خرج الأمير طيدمر الساقي في حملة عسكرية عام ٧٣١هـ/١٣٣١م ومعه الأمير سيف الدين أيتمش وآقبغا آص وآقسنقر وغيرهم إلى مكة المكرمة بسبب الفتنة بين الشريفين وخروجهما عن طاعة السلطان (١٠٥)، ثم أرسلت تجريدة عسكرية عام ٨٥٤هـ/١٤٦٣م إلى دمشق وكان مقدمة ذلك العسكر هو الأتابك إينال وعين في خدمته الأمير دولات باي الدوادرار الكبير وأحد الأمراء المقدمين وأمراء طلخانة وأمراء عشر وات منهم أربك بن ططخ الظاهري وأسنباي الجمالي الساقي وبردبك البجقمدار، وكان هؤلاء الثلاثة من مماليك السلطان (١٠٦).
- كما شارك الساقي أيضاً في إطفاء وإخماد الحرائق التي تتعرض لها البلاد ففي عام ٧٢١هـ/١٣٢١م وقع حريق هائل في القاهرة ومصر وهبت رياح شديدة

ساعدت على استمرار اشتعال النار لعدة أيام فأمر النائب بالقاهرة الجميع بنقل الماء على جمال الأمراء لإطفاء الحريق وقام الأمير بكتمر الساقي بالمساعدة في إخماد الحريق مع الأمراء وقام أرغون النائب بنقل ممتلكات وأشياء خاصة بالسلطان من منزل ناظر الخاص كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين حتى خمدت النار (١٠٧).

مكانة الساقي في البلاط المملوكي:

تمتع الساقي بمكانة ومنزلة رفيعة عند سلاطين المماليك، ومما يدل على ذلك هو إقامة علاقات الزواج والمصاهرة. فقد تزوج الأمير قوصون الساقي من ابنه السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م وكان جهازها يحتوى على أفخر الملابس والعطور والمأكولات واستمر الفرح لمدة سبعة أيام متواصلة (١٠٨).

وفي عام ٧٣١هـ/١٣٣١م تزوج الأمير أنوك بن السلطان الناصر من ابنه الأمير سيف الدين بكتمر الساقي وحمل من خزانة الخاصة السلطاني مهر الأمير أنوك وكان حوالي ١٠ آلاف دينار و٢٥٠ تفصيله من الحرير و١٠٠ وعاء مسك و١٠٠٠مثقال عنبر خام و١٠٠ شمعة بالإضافة إلى الخيول والمماليك (١٠٩)، كما زوج الناصر محمد ابنته المنصور والصالح إسماعيل من ابنتي الأمير طقزدمر بن عبد الله الحموي الساقي (١١٠) أما الأمير أزيك الساقي رأس نوبة فكان صهر السلطان الظاهر جقمق الذي اشتراه في جملة المماليك واعتقه وجعله ساقياً وانعم عليه بإمرة عشرة ثم خلع عليه وجعله من جملة رؤوس النواب ثم زوجه من ابنته من مطلقته خوند مغل بنت القاضي ناصر الدين محمد ألبارزي وعمل له حفلاً عظيماً (١١١).

- وصل الأمر بالساقي إلى أنه كان من الممكن أن يشفع للبعض عند السلطان وتقبل شفاعته في أحيان كثيرة كما حدث عام ٧٢١هـ/١٣٢١م عندما قام العامة بهدم كنائس النصارى بصورة عشوائية وعنيفة وكادت أن تحدث فتنة فأمر السلطان بالقبض على كثير من العامة ومعاقبتهم بالصلب والشنق والتوسط فبكوا جميعاً أمام السلطان فرق لهم الأمير بكتمر الساقي وتشفع لهم عند السلطان فقبل شفاعته وأمر بصلب جماعة منهم وأمر بكتمر الساقي أن يساعد كريم الدين ناظر الخاص السلطاني في تقييد بعض العامة واستخدامهم في أعمال الحفر بالجيزة

(١١٢). كما قام الساقي بدور الوسيط بين السلطان وبين بعض الأمـــراء لحـــل الخلافات بينهما ففق عام ٧٢٧هـــ/١٣٢٧م تغير خاطر السلطان الناصر محمـــد بن قلاوون على الأمير أرغون وطلب من الأمير أيتمش المحمدي أن يقوم بالقبض عليه وإحضاره إلى القلعة وهتا تدخل الأمير يكتمر الساقي ليكون وســـيطاً بـــين الطرفين وطال تردده بينهما حتى أصلح الأمر وعفا السلطان عن الأمير أرغـــون وانعم عليه أيضاً بنيابة حلب (١١٣)، وفي عام ٧٣٣هـــ/١٣٣٣م تشفع الأمـــير قوصون الساقي في الشمس غبريال ناظر الجهـــات لأن النشـــو نـــاظر الخـــاص السلطاني قام بمصادرة أمواله لأن غبريال اتهم بالاستيلاء على أمـــوال النـــاس في دمشق والسيطرة على المدينة والتحكم فيها فوشي له النشو عند السلطان حـــتى وافق على مصادر أمواله فأرسل الشمسي غبريال الهدايا إلى الأمـــراء الخاصـــكية ومنهم الأمير قوصون وطلب منهم أن يرفقوا في أمره ويتوسطوا له عند السلطان فوقف الأمير قوصون والأمير سيف الدين بشتاك وأخبرا السلطان أنه رجل كبير وله مال وهو غلام السلطان من سنين فقبل شفاعته وسمح له بدفع غرامة ومنـــع عقابه ومصادرته (١١٤)، وفي عام ٧٣٤هـــ/١٣٣٤م طلب جلال الدين قاضي القضاة من الأمير قوصون أن يشفع له عند السلطان لعودة ابنه مـــن دمشـــق إلى القاهرة وجمع شمل العائلة فأجابه السلطان بذلك (١١٥) وكان ولـــده عبـــد الله ولقبه جمال الدين عرف عنه انغماسه في اللهو ومجالس الأنس فأخرجه الســـلطان إلى دمشق ثم عاد بشفاعة الأمير قوصون (١١٦).

بلغت مكانة الساقي درجة عالية جعلت السلطان المملوكي يهب لـــه أراضـــي وأوقافاً ويبني له القصور والبساتين والعمائر باسمه، واتضح ذلك من خلال وثيقة وقـــف للسلطان الناصر محمد بن قلاوون تخص الأمـــير بكتمـــر الســـاقي وترجـــع إلى عـــالم ٧٢١هـــ/١٣٢١م حيث أوقف قرية في بيت المقدس له وسمح لأبنائه وأحفاده الـــذكور والإناث من بعده الانتفاع من ذلك الوقف بالتساوي ولا يفضل بينهم ويســـتمر ذلـــك الوقف إلى كل نسلهم (١١٧)، كما ذكرت المصادر التاريخيـــة المعاصـــرة أن الســـلطان المملوكي قد أنشأ الأمير طشتمر الساقي حمص أخضر داراً بحدرة البقر واشترى له بستاناً المغربي بجزيرة الفيل بمبلغ ١٩٠ ألف درهم، وإنشاء للأمير سيف الدين بكتمـــر الســـاقي

قصراً على بركة الفيل وأمر كريم الدين ناظر الخاص أن يبني أحراشا للخيل والجمال وميداناً في بركة الحج وأن يبني مثلهم للأمير بكتمر الساقي، ثم انعم على الأمير قوصون الساقي بالبستان في اللوقي فبني تجاهه (١١٨).

في عام ٧٣٠هـ/١٣٣٠م اشتري الأمير قوصرن دار الأمير آقوس الموصلي وما حولها وهدمها لناء مسجد فبعث إليه السلطان شاد العمائر السلطاني والأسري لنقل الحجارة حتى اكتمل البناء (١١٩)، بالإضافة إلى أن الساقي كان يتجاوز بعض القوانين وشراء ما يريده سواء بعلم السلطان أو بعدم علمه وموافقته حيث كانت لديه الصلاحية والقدرة على التحايل على القوانين والشرع ورشوة القاضي أو موظفي ما حتى يتسني له الوصول إلى ما يريده أو يحتال لحل الوقف والاستيلاء على أراضي الغير (١٢٠)، وكان السلطان مت شده حبه وقوة مكانة الساقي عنده يسنح له بالتحكم في الأمور وممارسة حقه على السلطان في طلب الشفاعة ورد المظالم إلى أهلها وأن يحترمه الجميع حتى يقال أنه عندما يطلب احد ما وظيفة يقول له السلطان "روح إلى الأمير وبس يده"(١٢١).

- بالإضافة إلى ذلك فقد كان السلطان يحضر جنازة بعض الأمراء السقاة المقربين إليه، فعندما توفي الأمير بكتمر الساقي عمل له جنازة عظيمة وخرجت المشايخ في جنازته وأقاموا سبع أيام بلياليها يتصدقون واستدعي السلطان أخوته وطيب قلوبهم ووعد أخوه قماري بتقدمه ألاف وزيادة إقطاعه وأنعم على مماليكه وأحفاده بإقطاعات جديدة وأخذ لنفسه جماعة من مماليكه (١٢٢)، كما حضر السلطان أللملوكي صلاة الجنازة مع الأمراء والمماليك على الأمير أزيك الظاهري الساقي الذي توفي عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م (١٢٣)، وعندما مرض الأمير ألطنبغا المارداني الساقي الناصري مرضاً شديداً وطال به المرض أنزله السلطان من قلعة الجبل إلى الميدان وصار والى القاهرة وبعض الأمراء يبيتون عنده كل ليلة ويحضرون له أرباب المساخر والملاهي للترفيه عن وتسليته كما نزل السلطان لعيادته عد مرات (١٢٤).

الساقي والتحف المعدنية:

اتصفت دولة سلاطين المماليك بالغني والثروة ومن المعروف أن رقي الفنون يرتبط ارتباطاً شديداً بانتعاش الحياة الاقتصادية وتوافر المال، وظهر ذلك من خلال الفنون التي

تشمل العمارة والتصوير والنحت والصناعات اليدوية، وقد أسهم الأمراء السقاة ببعض الأعمال الفنية مما يوضح حالة الثراء التي عاشها الأمراء السقاة ويشهد ذلك التحف التي صنعت في ذلك العصر وحملت اسم الساقي، ويلاحظ أن بعض هذه التحف برسم الأمير الساقي بعد توليه الوظيفة أو بعد ترقيته إلى وظيفة أخرى ولكن معظم هذه التحف تحمل اسم الساقي ومنقوش عليها رنك الساقي (الكأس) مما يدل على أنه مازال يحتفظ باللقب أو يحتفظ بالوظيفتين معاً، وفيما يلي سنعرض لبعض هذه التحف الفنية:

التحف الزجاجية والمعدنية والنحتية:

التحف الزجاجية:

أبدع صناع الزجاج في عصر سلاطين المماليك ويتجلى ذلك في المشكاوات الباقية المموهة بالمينا بألوانها المختلفة، وفي أشكال هذه التحف الزجاجية وأحجامها وهيئاتها والتي تعتبر من أهم وسائل الإضاءة في العصر المملوكي وكانت توضع في المساجد بصفة عامة.

- لدينا مشكاة من الزجاج المموه باسم الأمير شايخور الناصري القرن ٨هـ/١٤م من العصر المملوكي البحري في مصر والشام والشكل العام للمشكاة على هيئة بدون منتفخ بعلوه رقبة منفرجة تنتهي بفوهة متسعة وقاعدة مرتفعة مخروطة الشكل، ونقش علي البدن بالخط النسخ المملوكي اسم وألقاب الأمير شيخو بصيغة "المقر العالي المولود المخدومى ألسيفي شيخو الناصري بالمينا المذهبة على أرضية زرقاء، ونقش على الرقبة كتابا نسخية دينية لآيات قرآنية من سورة النور نصحها "الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دوري" بالمينا الزرقاء على أرضية نباتية مذهبة، يتخلل هذه الآيات رنك الكأس (الساقي) شارة هذا الأمير بالمينا الحمراء، أما القاعدة فنقشت بزخارف نباتية أرابيسك يتخللها مساحات بيضاوية شغلت بزخرفة زهرة الزنبق أو الزئبق (١٢٥).
- كما توجد أيضاً مشكاوتان للأمير شيخوا لعمر ساقي السلطان الناصر حسن وتحمل اسمه ورنكه وهما مطعمتان بالمينا وذهبتان وتوجد هذه التحفتان في المتحف البريطاني (١٢٦) كما توجد في متحف المترو بوليان مشكاة أخرى

مموهة بالمينا باسم الأمير سيف الدين قوصون وقد كتب عليها"مما عمل المقر العالي المولوى المالكي المخدومى ألسيفي قوصون الساقي الملكي الناصري"(١٢٧).

- الإضافة إلى أربع مشكاوات مموهة بالمينا باسم المقر العالي ألطنبغا الساقي الناصري مصحوبة برنك الساقي علي هيئة كاس حمراء (١٢٨).
- كما وجد قنديل من زجاج مذهب ومطعم بالمينا بالمتحف الملكي الوطني في اسكتلندا والقنديل ذو عنق قمعي الشمل وشفة مستديرة وجسم مربع وكتب عليه بخط الثلث الآية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة وفي الجزء الرئيس من القنديل نقش باسم زين الدين مبارك الساقي وكذلك شعار الكأس وفي الجزء السفلى نقش اسم الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون مما يدل على أنه كان ساقياً للملك الصالح (١٢٩).
- وكان يضاف أحيانا إلى رنك الساقي شعار أخر قد يكون حيوان أو طائر معبراً عن وظيفة أخرى ومن أمثلة ذلك رنك الأمير طقزدمر بن عبد الله الحموي الساقي الذي كان على هيئة كأس تحت نسر (١٣٠).

التحف المعدنية:

ازدهرت صناعة التحف المعدنية في مصر منذ العصر الفاطمي، وازدادت ازدهارا ونضجاً واضحاً ووصلت هذه الصناعة إلى ذروتها في العصر المملوكي، ويرجع ذلك اهتمام سلاطين المماليك بالتحف المعدنية وصناعتها بالإضافة إلى توفر المعادن إما الموجودة في الصحراء المصرية، أو المعادن التي كان يتم استيرادها من أوربا وشمال أفريقيا وغيرها، مما كان له أكبر الأثر في تقديم هذه الصناعة وكثرة النباتية والهندسية والحيوانية وكذلك الكتابة العربية المتميزة بالخطوط المختلفة، وقد وجدنا بعض من هذه التحف المعدنية التي تحمل اسم الساقي وتشتمل علي طست وشمعدانات وأواني وغيرها ومن أمثلة ذلك:

- طست من النحاس مطعم بالفضة ويزخرفه شريط كتابي بخط الثلث نصه "مما عمل برسم المقر الأشراف العالي المولوي العلمي العادلي الغازي أبجاهدي المخذومي السيفي طبطقي الملكي الأشرف ويتخلل الكتابة عدة رنوك عبارة عن كأس يرمز إلى وظيفة الساقي (١٣١)، وقد كان يستخدم هذا الطست في

غسل الأيدي والملابس وعرفت خزانة الكسوة في العصر المملوكي بالطست خانة وكان يحفظ بها كل ما يخص السلطان من طسوت وثياب وجواهر وسيوف ومقاعد وسجاد (١٣٢).

- كما يوجد طست أخر من النحاس محفوظ في متحف اللوفر باسم البن الأمير بكتمر الساقي وعليه أيضاً رنك على هيئة كأس حمراء ونقش عليه المقر الكريم العالي المولوي ألكبيري الغزالي أبجاهدي ألمرابطي المثاغري العوفي ألذخري الهمامى ولد المقر ألسيفي بكتمر الساقي الملكي الناصري (١٣٣).
- بالإضافة إلى الشمعدانات النحاسية حيث يوجد شمعدان من النحاس باسم المقر العالي السيفي طرجي الساقي (١٣٤)، وشمعدان ثان من النحاس أيضاً باسم المقر العالي السيفي بيغجار الساقي الناصري (١٣٥)، وشمعدان ثالث محفوظ في متحف الهيرميتاج في لينجراد وعليه نقش برسم الجناب العالي الأميري آقسنقر العمري الساقي الناصري (١٣٦)، كما وجد شمعدان من النحاس عليه كتابة تتألف من شريطين يقرأ في احدهما بكتمر الساقي الملكي الناصري وعلي الآخر المقر العالي الأميري الغازي السيفي بكتمر الساقي الناصري (١٣٧) وغيرها من الشمعدانات الخاصة بالساقي ومزينة برنك الساقي المعروف.
- كما وجد صندوق اسطواني الشكل من النحاس محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم ٣٩٨٥ وعليه شريطين وقد نقش على احدهما المقر العالي المولوي الأميري الغازي المجاهدى المرابطي المثاغرى ألمؤيدي ألذخري ألعوني الغياثي السيفى طغاري تمر الساقي الملكي الناصري وعلى الآخر المقر العالي المولوي الأميري الكبيرى المجاهدي السفي طغاي تمر الساقي الملكي الناصري (١٣٨).

التحف النحتية:

أما فن النحت في الحجر والأخشاب والرخام والخزف فقد بلغ درجة كبيرة من التقدم في عصر سلاطين المماليك، واهم ما يتصف به ذلك العصر هو الزخارف والنقوش على الألواح الرخامية والفسيفساء والحجر وغيره واقتصرت في بعض الأحيان على الأشرطة والألواح التي يزين بها المبني وكذلك وجود الأشكال النباتية والطيور والحيوانات،

كما تميزت هذه الزخارف بالكتابة العربية والخطوط المتنوعة وأهمها الخط الكوفي، أما الحفر على الخشب فقد بلغ درجة فائقة من الإبداع والدقة حيث اهتم الفنانون والمشتغلون في هذه المهنة على إنتاج التحف الخشبية الدقيقة (١٣٩) وهناك بعض الأعمال النحتية الخاصة بالساقي والتي تحمل اسمه ولقبه ووظيفته أيضاً ومنها على سبيل المثال:

- لوح رخام من ضريح الأمير طشتمر وقد نقش عليه برسم المقر العالي الأميري السيفي طشتمر الساقي ختم الله له بخير في ربيع الأول سنة خمس وثلثين وسبعمائة وعليه رنك على هيئة كأس.(١٤٠).
- كذلك وجدت ألواح من الخشب عليها كتابة أثرية بنص تشييد باسم ذخر الأرامل والمنقطعين كهف الفقراء والمساكين العبد الفقير إلى الله تعالى ألطنبغا الساقي الملكي الماصرى (١٤١).

المنشآت المعمارية:

للساقي دور في البناء والتشييد والعمارة، وقد ازدهرت فنون العمارة في العصر المملوكي كما تنوعت هذه المنشات منها، العمائر الدينية مثل المساجد والخنات والفنادق، ومنها عمائر مدنية مثل الدور والقصور والحمامات وغيرها، وسوف نستعرض أهم الأعمال المعمارية التي بناها الساقي وتحمل اسمه ولقبه مع ملاحظة أن بعضها قد شيد بعد تولهي الوظيفة أو بعد ترقيته لمنصب أعلى:

العمائر الدينية (المساجد):

- جامع الأمير قوصون: أنشاه الأمير قوصون ويقع المسجد بالشارع خارج باب زويلة ابتدأ في عمارته عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م، وكانت في بدء الأمر داراً ثم بني لها مئذنتين وأقيمت به الخطبة أول مرة في عام ٧٣١هـ/١٣٣١م (١٤٢)، وتوجد عند مدخل الجامع كتابة أثرية بنص تشييد المسجد باسم المقر الأشرفي السيفي قوصون الساقي الملكي الناصري (١٤٣)، كما بني مسجد آخر داخل باب القرافة (١٤٤).
- جامع المارادانى: يقع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة وكان مكانه كقابر القاهرة ثم عمر المكان وفي عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م اشتري النشو ناظر الخاص السلطاني المكان لصالح الأمير ألطنبغا المارداني وهدمت المقابر وبني الجامع وبلغ تكلفته ١٥ ألف دينار سوي ما حمل إليه من الأخشاب والرخام وغيره وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ١٤

رمضان عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م (١٤٥) ويذكر أن ألطنبغا المارداني الساقي كان من جملة الخاصكية السقاة وبني المسجد عندما كان مريضاً وقبل أن يتأمروا وينعم عليه السلطان بإمرة عشرة (١٤٦)، وقد عثر على كتابة أثرية على بلاطتين من الرخام وقد نقش على إحداها أنشأ هذا الجامع المبارك الفقير إلى الله تع الطنبغا الساقي الناصري ... وكان الفراغ منه في شهر رمضان سنة أربعين وسبعمائة ، وعلى الآخر أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تع الراجي عفو ربه الطنبغا الساقي الملكي الناصري في شهور سنة أربيعين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله(١٤٧).

الخانقاوات:

هي كلمة فارسية معربة تعني بيتاً أو داراً وفيها ينقطع رجال الصوفية للعبادة والذكر والتصوف (١٤٨) ومنها: خانقاه الأمير بكتمر الساقيي : وتوجد بطرف القرافة في سفح جيل المقطم مما يلي بركة الحبش وبني بجوارها حماماً وبستان وسوق ولكن عند حدوث المحنة عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م انتقل السكان من المكان وخربت الخانقاة (١٤٩).

- خاتقاة الأمير قوصون: تقع شمالي القرافة مما يلي قلعة الجبل تجاه جامع قوصون(١٥٠).

الأحكار:

يقصد بالحكر هو امتلاك شخص ما أرضا أو عقاراً ومنع الآخرين من البناء عليه أو الاستيلاء وتبقي كما هي مثل: حكر طقزدمر: كان بستان مساحته ٣٠ فدان فاشتراه وقلع أخشابه وأذن للناس بالبناء عليه فحكروا وانشئوا الدور واكتملت العمارة فيه وصار الحكر مسكن للأمراء والأجناد وبه السوق والحمامات والمساجد. (١٥١)

- حكر قوصون: كان مجاوراً لقناطر السباع وكان بساتين بلغت مساحته ١٥ فدان فاشتراه الأمير قوصون وقطع الزرع وسمح للناس بالبناء عليه فحكروه. (١٥٢).

المدارس:

كانت المدارس في ذلك العصر أشبه بالجامعات. ولكل مدرسة مذهبها إلي تتبعه وإن كان بعضها يشتمل على أربع كليات للمذاهب الأربعة. وإذا كان من المفروض أن

تكون المدرسة مركزاً للعلوم الدينية، فإن الوضع قد تطور حتى عدت المدارس مراكز لتدريس النحو والفلسفة والعلوم الطبيعية فضلا عن العلوم الدينية (١٥٣).

- مدرسة الأمير مثقال المعروف بالأمير سابق الدين مثقال الساقي الطواشي وكان يلقب سابق الدين الزمام وتعرض أيضاً بالمدرسة السابقية ويقرأ النص الآتي فوق المدخل أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة العبد الفقير إلى الله سابق الدين مثقال الساقي مقدم المماليك غفر الله له (١٥٤).
- وكذلك مدرسة الأمير فيروز الرمي الساقي الجاركسي، وقد أنشاها بأقرب من داره عند سوق القرب داخل باب السعادة بالقرب من حارة الوزيرية (١٥٥) ويقرأ على الباب النص التالي أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الجناب الزيني فيروز الساقي الخاص الشريف الملكي الأشرفي بتاريخ سنة ثلاثين وثمان مائة (١٥٦).

المنشآت التجارية:

- قيسارية طشتمر الساقي: كانت بجوار الوراقين ولها باب كبير من سوق الحريريين على يسار من اتجه إلى سوق الزجاجيين وباب الوراقين وسكن بها عقادو الأزرار حتى ازدحمت بهم وكثرت الحوانيت ثم حدثت محنة عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م تلاشي أمرها (١٥٧).
- وكالة الأمير قوصون الساقي: كان موضعها بين الجامع ألحاكمي ودار سعيد السعداء وكانت داراً ثم أخربها الأمير قوصون وما جاورها وجعلها فندقاً كبيراً واختص تلك الوكالة بنزول التجار الشوام ببضائع من الشام (١٥٩)، ويقرأ عند مدخل الخان نص أنشأ هذا الخان المبارك المقر الشرف العالي ألسيفي قوصون الساقي الملكي الناصري أدام الله عزه (١٦٠).

يعتبر الساقي من الأمراء الذين اشتهروا باتخاذ رنك أي شعار ورمز يشير إلى وظيفته، فإذا حصل الأمير على إمرة وأصبح ساقياً منحه السلطان رنك على هيئة كأس، كان ذلك الرنك من أكثر الرنوك ظهوراً على الآثار والتحف سواء كان منفرداً أو مركبا مع رنك آخر كما أوضحنا سابقاً.

رنك الساقي:-

يعتبر الساقي من الأمراء الذين اشتهروا باتخاذ رنك أي شعار ورمز يشير إلى وظيفته، فإذا حصل الأمير على إمرة وأصبح ساقياً منحه السلطان رنكاً على هيئة كأس، كان ذلك الرنك من أكثر الرنوك ظهوراً على الأثار والتحف سواء كان منفرداً أو مركباً مع رنك آخر كما أوضحنا سابقاً.

الرنك:كلمة فارسية الأصل تعنى لون ثم عربت إلى أن استخدم بمعنى الشعار أو الشارة التي يتخذها الأمير أو السلطان لنفسه ويرجع الأصل في الرنوك التي اشتهر في عصر سلاطين المماليك إلى عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وذلك عندما أمر الأمير عز الدين أيبك وجعله جاشنكير، وحدد له شارة لوظيفته (١٦١) وقد لعبت الرنوك دوراً هاماً في العصر المملوكي ويذكر القلقشندى أنه "جرت العادة أن أن يتخذ كل أمير كبير أو صغير رنك خاص به ما بين كأس أو بقجة أو دواة أو نسر أو سيف وغيرها بالون مختلفة وكل أمير يجعل ذلك دهاناً على بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السكر والشون والغلال والمراكب وعلى قماش خيولهم وجمالهم وعلى سيوفهم والأقواس..."(١٦٢).

وقد أمدتنا التحف والآثار المملوكية بأشكال متنوعة لرنك الساقي وهو الكأس والذي نقش مفرداً بلا منطقة تحيط به أو نقش داخل منطقة مستديرة أو ربما يشغل جزءاً من الدائرة ومعه رنوك أخرى توضح الوظائف التي تولاها صاحب الرنك وعندئذ يقسم الرنك إلى عدة أجزاء وسوف نستعرض أشكال عن رنك الساقي مع توضيح ووصف الرنك (١٦٣).

يتبين لنا في نهاية الدراسة مدى اهتمام سلاطين المماليك بنظم ورسو البلاط المملوكي مما جعل لوظيفته الساقي أهمية ومكانة، كما أضيف إلى الساقي اختصاصات أخرى ففي البداية كانت مهمته تقديم الشراب للسلطان أو الأمير ثم أصبح مسئولاً عن تقديم الشراب والطعام وتقطيع اللحم وإعداد المائدة، كما اتضح لنا أن الساقي كان من الخاصكية المقربين للسلطان وكان لا يفارقه في مجلسه، وكان عدة وهؤلاء السقاة حوالي عشرة أمراء من الخاصيكية ويرأسهم ساقي السلطان وسمي أحياناً بالساقي الخاص الشريف.

ونتيجة أن الساقي كان قريباً من السلطان أو الأمير بشكل مستمر ومتواجد معه في أوقات مختلفة ومن ثم كان يمكن أن يدبر عن طريقة وسيلة للتخلص من ذلك السلطان أو ذلك الأمير بوضع السم له في الشراب أو الطعام، ومن هنا تكمن خطورة عمله وأهميته في نفس الوقت، ورغم أنه كان من أمراء العشروات وهي من الرتب العسكرية الصغيرة إلا أنه كانت لديه الفرصة للترقي وتولي مناصب أعلى، كما كشفت الدراسة عن تمتع الساقي بإنعامات وإقطاعات ورواتب مما دل على منزلته وقوة نفوذه.

أوضحت الدراسة مدي تمتع الساقي في المجتمع المملوكي بمكانة ومنزلة رفيعة عند سلاطين المماليك، ومما يدل على ذلك هو إقامة علاقات الزواج والمصاهرة، وكذلك وصل الأمر بالساقي إلى أنه كان من الممكن أن يشفع للبعض عند السلطان وتقبل شفاعته، كما بلغت مكانة الساقي درجة عالية جعلت السلطان المملوكي يهب له أراضي وأوقاف ويبني له القصور والبساتين والعمائر باسمه.

وكشفت الدراسة أيضاً عن العديد من اختصاصات ومهما إضافية، حيث تم تكليف الساقي بمهام وأعمال أخرى علاوة على مهامه الأساسية وذلك بناء على أوامر من السلطان المملوكي أو وفقاً لمكانته وقوة شخصيته ومدي قربه من السلطان مما يجعل السلطان المملوكي يكلفه ببعض المهام والأعمال. فقد تولى بعضهم نيابة الغيبة أثناء سفر السلطان والبعض الأخر شارك في التجريدات العسكرية وبعضهم، وأثبتت الدراسة الدور الذي لعبه الأمير الساقي في الحياة السياسية وقيامة بمجهود واضح في حماية العرش لصالح السلطان، ثم استغلال ألوضح لتحقيق أطماعه الخاصة وتدبير الفتن والمؤامرات للتخلص من السلطان وفي أحيان أخرى كان السلطان يستشعر خطر الساقي عليه فيحاول التخلص منه والقبض عليه أو قتله ومصادرة أمواله وممتلكاته، وهنا يتبين أنه كان يتعرض للعقوبة رغم مكانته مما يدل على سمة وطبيعة العصر القائمة على العنف والقوة وتحقيق الأطماع على حساب الآخرين.

ألقت الدراسة الضوء على إسهام بعض الأمراء السقاة في الحياة الحضارية، وذلك من خلال ما تركوه لنا من تحف فنية زجاجية ومعدنية ونحتية، أو من هلال المنشآت المعمارية مثل: المساجد والمدارس والخانقاوات والأحكار والمنشآت التجارية، كما اتضح لنا أن الساقي كان له رنك أي شارة خاصة به وكان من الموظفين المميزين باستخدام

الرنك، وهو عبارة عن كأس تعبر عن وظيفته وقد تبين من خلال الأعمال الفنية والمعمارية وجود اسم الساقي ورنكه على كل ما يخصه مما يدل على توليه الوظيفة. وأحياناً يتكون الرنك من عدة شارات تعبر عن توليه عدة وظائف إما بالتسلل أو تولية تلك الوظائف معاً في وقت واحد أو احتفاظه بلقب الوظيفة فقط وكذلك يذل هذا على وجود انسيابية في الوظائف المملوكية.

ثمة ملاحظة أخرى وهي أن وظيفة الساقي كانت من الوظائف التي يمكن توارثها من ناحية الاحتفاظ باللقب حيث كانت تورث أحياناً للابن أو للأخ رغم عدم اشتغاله بالوظيفة كما هو الحال بالنسبة لكل من أحمد الساقي وكذلك بالنسبة إلى الأمير أينبك الساقي أخو بكتمر الساقي، ومن السقاة في دولة سلاطين المماليك الذين أطلق عليهم لقب الساقي ووجد ذلك على الآثار والتحف ولهم رنك الكأس هم ألطنبغا المارديني وقوصون الساقي وحسين بن قوصون الساقي ومحمد بن كتبغا وطشتمر ألبدري وطرجى الناصري وطقزدمر وغيرهم.

حواشي البحث:

(١) حسن الباشا (دكتور). الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ونهضة مصر ١٩٦٦م، ج٢ ،ص٥٧٧.

(٢) القلقشندى شهاب الدين أحمد بن على ،ت ٨٢١هـ/١٤١٨م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، ١٩١٥م، ج٥، ص٤٥٣.

(٣) المساط: عبارة عن خشب مدهور شبكة الدكة اللاطية فيصير من جمعه للأواني سماطا عاليا في الطول والعرض ويوضح فوقه الخبز والأطعمة، أنظر، المقريزي تقي الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٤، ص٢٢٠.

(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥،ص ٤٥٤، ابن شاهين الظاهري غرس الدين بن خليل ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م، زيدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، ١٨٩٤م، ص١١٦، ابن كنان محمد بن عيسي، ت١١٥٣هـ/١٧٤٠م، حدائق الياسمين فذ ذكر الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م، ص١٠٩.

(٥) ابن شاهين الظاهري، ربدة كشف المماليك، ص١١٦.

(٦) ابن شداد عز الدين محمد بن على بن إبراهيم، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٧) العسقلاني شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر، ت ٨٥٢هـ١٤٤٨م، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق عبد الوارث محمد على، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢،ص١٥٠،١٣١.

(٨) ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٣، ص٢٧٩، السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الله، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٨م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ج٣، ص١٠.

(٩)ابن تغربي بردي، المنهل الصافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ج٤، ص٩٣، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانكي القاهرة، ١٩٧٩م، ج١، ص٢٢٢.

(١٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٥.

(١١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١١، ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، ص٣١، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١٦، ص١٥٤.

(١٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧٤، ابن إياس محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري، ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، بدائع الزهر في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢،ص١٦،٤٠.

(١٣) رأس نوبة السقاة: هو لقب الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم ومعناه أنه رأس رؤوس النوب أي أعلاهم في خدمة السلطان، أنظر، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٥.

(١٤) العسقلاني، إبناء الغمر بأنباء العمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٢١٢.

(١٥) العسقلاني، المصدر السابق، ج٦، ص١٠٣.

(١٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٣، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٢، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج١، ص ص٢١٤-٢١٥، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٠.

(١٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ص٢٣٩-٢٤٠.

(١٨) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢ق٣، تحقيق: محمد مصطفي زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٨٥٢.

(١٩) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٥٤.

(20) Mayer, (L.A), Saracenic Heraldry, Asurvery, Oxford, 1933, pp. 10-40.

(٢١) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٦،١٣،٤٨،٤٩، ج١١، ص١٦٨، المقريزي، الخطط المقريدية، ج٣، ص ص٣٤٢-٣٤٢، العمري شهاب الدين أبي

العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: دوريتا درولوفسكي، القاهرة، ١٩٨٦م، ج٢، ص١٠٤.

(٢٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٦، المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٤٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٦٦، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ص٨٦-٨٧، النويري شعاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٨، ص ص٢٢١-٢٢٢.

(٢٣) القبق: لفظ تركي معناه نبات القرعة العسلية وقد أطلق على الهدف الذي كان مستعملاً في ملعب الرماية باسم القبق واللعبة عبارة عن خشبة عالية في ميدان اللعب، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، ويقف الرماة بالقوس والسهام لإلقاء السهام في جوف الدائرة لكي تمر من خلال إلى غرض هناك تمرينا لهم على إحكام الرمي، انظر، المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٨١، العيني بدر الدين محمود، ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ج٢، حاشية (١)، ص١٥٥، سعيد عبد الفتاح عاشرور (دكتور)، المجتمع المصري في العصر المملوكي، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٧٢.

(٢٤) الميدان الأسود: هو الميدان الخاص برمي القبق خارج القاهرة من شرقها فيما بين النقرة التي يترل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر وسمي أيضاً ميدان الصيد والميدان الأخضر وميدان السباق وميدان الظاهرة بيبرس، انظر، المقريزي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٠.

(٢٥) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ص١٨٢-١٨٣.

(٢٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٦٦.

(٢٧) ابن أيبك الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك، ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، كتر الدرر وجامع الغرر، ج٩، تحقيق: هانس روبرت، رويمر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣٥١.

(٢٨) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٤، ٤٦٠، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٦.

(٢٩) ابن كنان، حدائق الياسمين، ص٢٥.

(٣٠) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٧٠.

(٣١) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٩، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٩٧.

(٣٢) السبكى تاج الدين عبد الوهاب، ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد على النجار، أبو زيد شلبي، مكتبة الخانكي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ص٣٧-٣٨.

(٣٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٦.

(٣٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣.

(٣٥) الطبلخانة: هي طبول متعددة، معها أبواق وزمر وتدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون في الأسفار والحروب، أما أمير الطبخانة فهو المسئول عنها وكل أمير منهم في خدمته أربعون مملوكاً وتدق ببابه ثلاثة أحمال طبلخانة ونفيران ومنهم من صاحب وظيفة ومنهم من لا وظيفة له، انظر، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص٨، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٥.

(٣٦) المقريزي، السلوك ج٢ق٢، ص٣٥١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٠٣، ابن أيبك الدواداري، كتز الدرر، ج٩، ص٣٦٦.

(٣٧) المقريزي، السلوك ج٣ق٣، ص٩٦٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٢،ص ١٧٧، ابن الصيرفي، على بن داود الجوهري الصيرفي، ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية، ١٩٧١م، ج٢، ص١٦.

(٣٨) المقريزي، السلوك، ج٤ق٣، ص١٠٨٨.

(٣٩) المقريزي، السلوك، ج٤ق٣، ص١٠٦٩، البن الصيرفي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٢.

(٤٠) المقريزي، السلوك، ج٤ق٢، ص٦٠٢، ابن الصيرفي، نفسه، ص ص١٤٠-١٤١.

(٤١) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص٥٢،٥٣،٦٠، إبراهيم على طرخان (دكتور)، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٦١.

(٤٢) الروك: معناه مسح الأرض الزراعية في بلد من البلدان التقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال، انظر، المقريزي، السلوك، ج١، حاشية (٣)، ص٨٤١.

(٤٣) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ٦٤.

(٤٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٢.

(٤٥) السيد البار العريني (دكتور)، الإقطاع الحربي زمن سلاطين المماليك، نهضة مصر، ١٩٥٦م، ص ص١٢-١٤، إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية، ص٦٣،٣٣،٣٠-٦٤.

(٤٦) العمري، مسالك الممالك، ج٢، ص ص٦٢-٦٦، الأسدي محمد بن محمد بن خليل، ب.ت، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ص٦٩-٧٠، السيوطي، الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٢، ص٩٣.

(٤٧) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٠، على إبراهيم حسن (دكتور)، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٤٤م، ص٣٤٦.

(٤٨) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٢٦٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٧٨، النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، تحقيق: قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٢٩.

(٤٩) اين إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ص٦٦-٦٧.

(٥٠) الجامكية: لفظ فارسي مشتق من جامة بمعني اللباس، أي نفقات اللباس الحكومي، وقد ترد الكلمة بمعني الآجر أو المنحة أو الراتب، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص٥١.

(٥١) الجمدار: هو الشخص المسئول عن إلباس السلطان، انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٩.

(٥٢) إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية، ص ص١٦٣-١٦٥.

(٥٣) المقريزي، السلوك، ج١ق٢، ص٦٥١، النويري. نهاية الأرب، ج٣٠، ص٣٧٣، العيني، عقد الجمان، ج١٨٨-١٨٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٣، ابن أبي الفضائل، عقد الجمان، ج١٨٨-١٨٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٣، ابن أبي الفضائل المفضل بن الفضائل، ت ٧٦٠هـ/ المنهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر وترجمة وتعليق: E. Blauvhet, Patralgia orientalis, V. 2, 1919, P. 300

(٥٤) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص١٣٥، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ص٣٦٦-٣٦٧، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٤٢.

(٥٥) الحوكندار: هو الشخص الذي يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة (لعبة البولو)، انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ج٥، ص٤٥٨.

(٥٦) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ص٣٢٣-٢٣٥، العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٤٨.

(٥٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص١٧٥، الصغدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفي، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٩، ص٢٦٨.

(٥٨) ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج٣، ص٧٦٥.

(٥٩) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٥٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ص١١-١٦.

(٦٠) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ص١٠٤-١٠٥.

(٦١) ابن تغزي بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٨-٩٦.

(٦٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص ص٤٨٩-٤٩٠.

(٦٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٨.

(٦٤) المقريزي، السلوك، ج١ق٢، ص٩٠٣.

(٦٥) الشجاعي، شمس الدين الشجاعي، ب.ت، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون، تحقيق: بربارة شيفر، فيسنباون، ١٩٧٨م، ص٣.

(٦٦) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٣١.

(٦٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٧.

(٦٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٠٥.

(٦٩) المصدر السابق، ج١٠، ص١٤٢.

(٧٠) المقريزي، السلوك، ج٣ق٣، ص٩٩٤، ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص١٦، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج١٢،ص ص١٧٧-١٩٥.

(٧١) المقريزي، السلوك، ج٤ق٢، ص٦٠٢.

(٧٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ٣٣ص، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٠. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٣.

(٧٣) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٣١، النجوم الزاهرة، ١٦، ص١٨١، السخاوي الضوء اللامع، ج٢، ص٣١١.

(٧٤) العسقلاني، إنباء الغمر، ج٢، ص ص٣٧٤-٣٧٥، ابن الفرات، ناصر الدين محمد عبد الرحيم، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، تاريخ الدول والملوك، ج٩ م١، تحقيق: قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٤٢م، ص١٧٦.

(٧٥) السخاوي، الضوء اللامع، ح٦، ص١٧٦.

(٧٦) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص٣٧٣، اليوسفي، موسي بن محمد بن يحيى، ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٠٥.

(٧٧) المقريزي، السلوك ج٢ق١، ص٢٨١، النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص ص١٦٨-١٦٩.

(٧٨) اليوسفي، نزهة الناظر، ص ص٣٦٣-٣٦٤.

(٧٩) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص٤٦٠، الشجاعي، تاريخ الملك الناصر، ص٤٢.

(٨٠) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٢٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٢٤.

(٨١) المقريزي، السلوك، ج١ق١، ص١٩٢.

(٨٢) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص١٧٧.

(٨٣) المقريزي، السلوك ج٢ق٢، ص٣٥١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٩، ص١٠٣، ابن أيبك الدواداري، كتر الدرر، ج٩، ص ص٣٦٦-٣٦٧.

(٨٤) ابن تغري بردي، منتخبات من حوادزث الدهور في مدي الأيام والشهور، ج٢، حررها: وليم بيبر، كاليفورنيا، ١٩٣٠، ص١٨٠.

(٨٥) المقريزي ، السلوك، ج٢ق٢، ص٣٦٣، وقد ذكر ابن حبيب أن الخشـــب هـــو خشب الساسم وهو خشب أسود يشبه الأبنوس وأن السلطان اختار الأمير أســـنبغا الساقي الخاصكي لتلك المهمة، انظر، ابن حبيب الحسن بن عمـــر، ت ٧٧٩هـــــ/ ١٣٧٧م. تذكرة النبيه في أخبار المنصور وبينيه، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ج٢، ص٢٤٧.

(٨٦) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٧٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٩، ص١٤.

(٨٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٥٠٨.

(٨٨) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٦١.

(٨٩) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧.

(٩٠) المقريزي، السلوك، ج١ق١، ص ص٦٥١-٦٥٦، العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ص١٨٨-١٩٠، ص ص٢١٥-٢١٦، بيبرس المنصوري، ركن الدين عبـــد الله بـــن بيبرس المنصوري الدوادار الخطائي، ت ٧٢٥هـــ/ ١٣٢٥م، مختار الأخبار، تحقيـــق: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ص٦٦-٦٨، التحفة المملوكيـــة في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م، ص ص٨٨-٩٠، النـــويري، نهايـــة الأرب، ج٣٠، ص ص٣٧٣-٣٧٤، ص ص٣٩٤-٣٩٨.

(٩١) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص ص٧٧-٧٨، بيبرس المنصوري، كتز الـــدرر، ج٨، ص٢٤٠، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة عطا، القاهرة، ١٩٨٩م، ج٩، ص١٧٥.

(٩٢) المقريزي، السلوك، ج١ق٣، ص٧٩٠،٧٩٥،٧٩٦، بيبرس المنصـــوري، زبـــدة الفكرة، ص ص٢٧٥-٢٧٩، ابن الفرات، تاريخ الرســـل والملـــوك، ج٨، تحقيـــق: قسطنطين رزيق، نجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٣٩م، ص ص١٧٣-١٧٤، مؤلـــف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق: زترستين، ليدن، ١٩١٩م، ص٢٩.

(٩٣) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص١٠٢، النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٣٣، زترستين، المصدر السابق، ص١٥٥.

(٩٤) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص ص٣٥٥-٣٦٥، ابن تغري بـــردي، النجـــوم الزاهرة، ج٦، ص ص١٠٤-١٠٦، ابن بطوطة، عبد الله بن محمد بن إبـــراهيم، ت ٧٧٩هـــ/ ١٣٧٧م، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج١، طبعـــة الأزهر الشريف، ١٩٢٨م، ص١٧٨.

(٩٥) المقريزي، السلوك، ج٤ق١، ص١٢١، الصـــيرفي، نزهـــة النفـــوس، ج٢، ص ص٢٥٨-٢٥٩.

(٩٦) المقريزي، السلوك، ج٤ق٣، ص ص١٠٨٠-١٠٨١، الصيرفي، نزهة النفـــوس، ج٣، ص٤٥٥.

(٩٧) المقريزي، السلوك، ج٣ق١، ص١٧١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٣.

(٩٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ص٢٣٩-٢٤٠، وقد كان العمل بالكيمياء في ذلك العصر يعتبر جريمة لأن صاحب المهنة كان يقوم بتحويل التراب والمعادن إلى ذهب باستخدام السحر والدجل واعتبر ذلك عش وتزييف ومن يقوم بها مجـــرم وآثم يستحق العقاب، وهناك حادثة مماثلة، انظـــر: النـــويري، نهايـــة الأرب، ج٣٣، ص ص٢٣٤-٢٣٥.

(٩٩) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٣٠.

(١٠٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٦، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص٥٢٣.

(١٠١) ابن عساكر شافع بن على بن إسماعيل، ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز خويطر، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١١٤.

(١٠٢) المقريزي المنصوري، التحفة المملوكية، ص٩٩.

(١٠٣) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص٩٩.

(١٠٤) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٢٦٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٧٨، النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص١٢٩.

(١٠٥) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص٣٢١.

(١٠٦) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص ص٨١-٨٢.

(١٠٧) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص ص٢٢١-٢٢٢.

(١٠٨) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٢٨٨، العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٥٤، ابن كثير، ج١٤.

(١٠٩) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص٣٣٣، ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٢١، زترستين، تاريخ سلاطين المماليك، ص١٨٥.

(١١٠) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٣٥، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ص٣٦٦-٣٦٧، الوافي بالوفيات.

(١١١) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص١١٣.

(١١٢) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٢٥٥.

(١١٣) المقريزي، السلوك، ج٢ق١، ص٢٧٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٩، ص٨٨، زترستين، تاريخ سلاطين المماليك، ص١٧٧.

(١١٤) اليوسفي، نزهة الناظر، ص١٣٠.

(١١٥) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص٣٦٨، اليوسفي، نزهة الناظر، ص١٧٦.

(١١٦) العسقلاني، تذكرة النبيه، ج٣، ص ص٣٤٩-٣٥٢.

(١١٧) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص ص٣٤٩-٣٥٢.

(١١٨) السلوك، ج٢ق١، ص١٣١، ١٧٣، ٢٣٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٩، ص ص١٨٨-١٩٣، العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٨٦.

(١١٩) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص٣٢٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٩، ص ص٩٤-٩٥.

(١٢٠) المقريزي، السلوك، ج٢ق٢، ص ص٣٢١-٣٦٢، اليوســـفي، نزهـــة النـــاظر، ص٣٤٠.

(١٢١) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٨٦.

(١٢٢) اليوسفي، نزهة الناظر، ص ص١٥٥-١٥٧.

(١٢٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٣٤.

(١٢٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ص٦٧-٦٨، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: نبيل أبو عشمه وعلى أبو يزيد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ص٦٠٤-٦٠٥.

(١٢٥) جمال عبد الرحيم إبراهيم، نماذج من الفنون الزخرفية بالقدس، كليـــة الآثـــار، جامعة القاهرة، ص ص٣٠-٣١، شكل (١)

(126) Brend, (B), Islamic Art, London, 1991, P. 113, Pinder-Wilson, The Islamic lands and Chona, in five thousand years of glass, (ed. Hatait), London, 1991, P. 135. شكل (٢)

(127) Et. Comb, J. Sauvaget et G. Wiet (eds), Repertoir chronologique de epigraphie.

(128) Arabe, le Caire, tom 14, 1944, pp. 262-263, No, 5585, Mayer, op.cit, P. 187.

Max van Berchem, Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum.

(129) Egypt, tome 1 Paris, 1903, P. 191, No. 132, Mayer, op.cit, pp. 63-64.

Eremim,k Al Khamis, u Mamluk and pseudo-mamluk. Glass in National Museums of Scotland, new York 2003, P. 43, Carboni, S.D. Mamluk glass lamps and for discussion on related masques, sultans glasss, New York, 2002, P. 65. شكل (٣)

(١٣٠) Mayer, op.cit, P. 33.

(١٣١) متحف الفن الإسلامي برقم ٣٤٠٧٥، شكل (٤).

(١٣٢) سعيد مصيلحي، أدوات وأواني المطبخ المعدنية في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٥.

(133) Sauvaget, op.cit, tom 15, pp. 22-23, No. 5634, Mayer, op.cit, P. 48.

(134) Sauvaget, op.cit, tom 14, P.274, No. 5599.

(135) Sauvaget, op.cit, tom 14, P. 273, No, 5598, Mayer, op,cit, P. 240.

(136) Sauvaget op.cit, tom 15, pp. 182-18, No. 58953.

(137) Sauvaget, op.cit, tom 15, P. 22, No. 5633.

(138) Sauvaget, op.cit, tom 15, P. 190, No. 5909, Mayet, P. 234.

(١٣٩) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ص٤٠٣-٤٠٤.

(140) Sauvaget op.cit, tom 15. pp. 45-46, No. 5665, Mayaer, op.cit. pp. 226-227.

(141) Sauvaget op.cit, tom 15. pp. 127-128, No, 5801.

(١٤٢) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ص١٠٣-١٠٤، ابن حبيب تذكره النبيه، ج٢، ص ص٢٠٢-٢٠٦، الشجاعي، تاريخ الملك الناصر، ص١١٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ص٩٤-٩٥.

(143) Sauvaget op.cit, tom, op.cit, pp, 259-260, Max van berchem, op,cit, tome 1, Paris, 1903, P. 177, No. 119.

ذكر ماكس فان بيرشيم نصاً آخر "أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك بكرم الله تعالى العبد الفقير الساقي الملكي الناصري في أيام مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله أنصاره وذلك في سنة ثلاثين وسبعمائة".

(١٤٤) المقريزي، الخطط، ج٤، ص١٣٢، شكل (٥).

(١٤٥) المقريزي، الخطط ج٤، ص١٠٥.

(١٤٦) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ص٦٧-٦٨، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: نبيل أبو عشمه، على أبو زيد، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٣، ج١، ص ص٦٠٤-٦٠٥.

(147) Max van berchrem. Op.cit: ome1, pp. 191-192, 123-133.

(١٤٨) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٧١، صعيد عاشور، العصر المماليكي، ص٤٣٣، محمد أحمد دهمان، معم الألفاظ التاريخية، ص٦٦.

(١٤٩) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٧، السلوك، ج٢ق١، ص٢٧٣، الشجاعي، تاريخ الملك الناصر، ص١١٧، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٤٦٧.

المقصود بمحنة ٨٠٦هـ هو ارتفاع أسعار السلع وخاصة القمح مع وجود وباء قضى على عدد كبير من الناس في مصر والقاهرة، بالإضافة إلى تدهور سعر النقود، وقلة الأقوات، وكانت تلك السنة أولى سنين الحوادث والمحن التي خربت فيها ديار مصر، وفني معظم أهلها، واتضعت الأحوال، واختلت الأمور خللاً أذن بدمار ديار مصر، انظر: المقريزي، السلوك، ج٣ق٣، ص١١٧ وما بعدها، ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص١٧٨ وما بعدها.

(١٥٠) المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٨٩، السلوك ج٢ق٢، ص٣٩٠، اليوسفي، نزعة الناظر، ص٢٨٣، ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٧٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٧٤١.

(١٥١) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٨٩، ابن تغري بردي، ج، حاشية (١)، ص١٩٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٤٦٥.

(١٥٢) المقريزي، الخطط ٣، ص١٨٧، السلوك ج٢ق٢، ص٥٤٣.

(١٥٣) السيد السيد النشار، تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص٨٩.

(١٥٤) عبد الرحمن زكي، موسوعة مدنية القاهرة في ألف عام، الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٧٩، شكل (٦).

(١٥٥) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص١٧٦.

(156) Max van Berchem, tome2, P. 364, No. 249.

(١٥٧) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٤٧.

(١٥٨) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٤٧.

(١٥٩) نفسه، ص١٥١.

(160) Sauvaget op.cit, tome 14, P. 260, No. 5580, Mayer, op.cit, P. 187, Bershem, tome 1, pp. 180-181, No, 123.

(161) Mayer, Op.cit. pp. 14-15

(١٦٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص ص٦١-٦٢.

(١٦٣) انظر شكل رقم (٧).